قتلُ الأرانب

قصص مترجمة



We're sitting on the beach together, the old man and me, staring out to sea.
There are ~~sparrows~~ gulls
flying
in circles over our heads, screaming like gulls do. Big bastards,
bigger and louder than the gulls I remember
from holidays when I was a kid.
The old man shades his eyes ~~with his~~ and says
he can see ships in the distance. I look,
trying NOT to think about Mary, trying not to remember
the water in her hair, in her mouth. I remember it anyway.
"~~What~~ ships?" I say. It was A MIStake coming here,
says a voice inside my head.
You SHOULD STAY AWAY FROM the SEA
I know I should. But I can't.
Not for long.......
I scan the horizon for the old man's ships, but still can't see a thing...

His hand slowly opens up for me,
a grubby flesh flower, the bottle a glittering carpet
at its centre.

جون ريڤنسكروفت

ترجمة: فاطمة ناعوت



قتل الأرانب

قصص قصيرة

جون ريفنسكروفت

ترجمة وتقديم: فاطمة ناعوت

الطبعة الأولى 2005

دار شرقيات للنشر والتوزيع

5 ش محمد صدقي، هدى شعراوي-القاهرة

الغلاف : فاطمة ناعوت

رقم الإيداع 2005/17642

الترقيم الدولي ISBN 977-283-206-2

إهداء

إلى زوجتي آسترا ريفنسكروفت، امتنانًا لدعمِها لي

وإلى صديقتي فاطمة ناعوت، امتنانًا لجهدِها وإيمانها الطيب بي.

ج. ريفنسكروفت

إلى مازن

نقطة النور الأولى.

ف. ناعوت

تصدير المؤلف

"ما يوحدنا أهم"

أكتب هذه الكلمات يوم 25 يوليو 2005، الشهر الذي قام فيه انتحاريون بضرب لندن بالقنابل والمتفجراتِ للمرة الأولـى. الشعور العام في المملكة المتحدة في هذه اللحظة هو الحـدس بأن مثل تلك الهجمات سوف تحدث أكثر وأكثر بشكل متكرر في المستقبل، وثمة كلام كثير وجدلٌ حول كيف يمكن السيطرة والتعامل مع موقف يبدو جديدا كـل الجـدة علـى الـشعب. المواطن الإنجليزي العادي يحاول أن يفهم ما الذي حدث كي يصبح العالم على هذه الصورة، ويسأل نفسه أسئلةً لم يـسألها حقيقةً من قبل.

الحاجةُ إلى تواصل البشر عبر حواجز الدين والعِرق، من أجل الالتقاء والسعي الحقيقي ليفهم بعضهم بعضا، لم يكـن مِلحـا وحتميا مثل الآن.

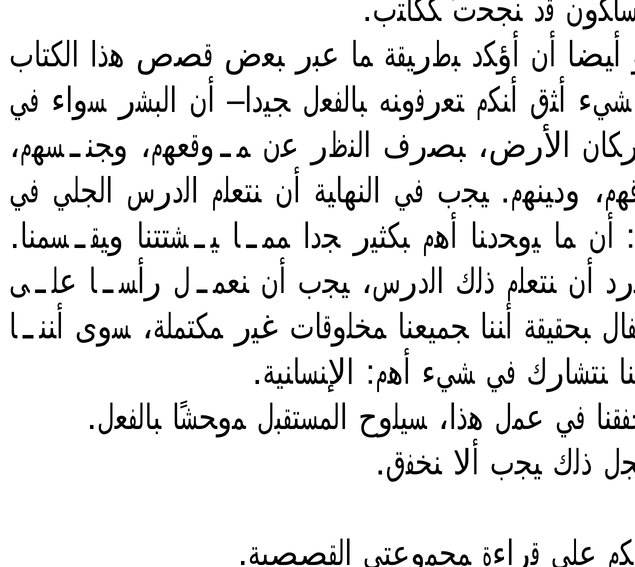
أؤمن أن السرد القصصي –كلّ ألوان الكتابة الإبداعية في واقع الحال – هو بالأساس معني بفكرة التواصـل. الرغبـة فـي الاتصال والتواصل مع الآخرين هي أحد المحثات الأساسـية التي تحرك حاجتي الخاصة للكتابة. من أجـل ذلـك كنـت مبتهجا للغاية حينما أخبرتني الشاعرة المصرية فاطمة ناعوت عن عزمها على ترجمة مجموعة من قصصي إلى العربيـة،

ومن ثم وافقتُ على الفور. أحببتُ الفكرةَ، فكـرةَ أن تـصل كلماتي إلى قراء أبعد من المتحدثين والنـاطقين بالإنجليزيـة، قراء آخرين نشئوا في بيئة وثقافة شديدتي الاختلاف عن بيئتي وثقافتي. وهذا ما سوف يكون عبر ترجمات قـصصٍ مثـل" أحلام أسامة، أحوال المادة، البومة، الأشـياء التـي تركـتِ وراءك،" وغيرها من القصص التي سوف تقرأونها الآن.

لا أستطيع أن أوفي فاطمة شكرا من أجل كل هذا الجهد، وآمل أن يحدث يوم وألتقي بها مباشرة كي أُظهر لها امتناني العميق شخصيا.

قراء كثيرون أخبروني أن سردي القصصي يتمحـور حـول علاقات بين أشخاص غير سعداء: أشـخاص خبـروا الفقـد والخسارة، أو هؤلاء الذين مروا بألم ما. ورغم أنني لا أبـدأ الكتابة بنية مسبقة عن إنتاج ذلك النوع تحديدا من القـص، أو حين أشرع في رسم شخوص سردي – زوجان مفجوعان بفقد طفلتهما في "البومة" على سبيل المثال، أو هـذان الـرجلان المحطمان في "أحول المادة" - إلا أنه من الواضح أن تلـك التيمات بالفعل تظهر بجلاء على سطح أعمالي مجددا ومجددا. حسنا، لقد قيل مرات عديدة أن الكتّاب لا خيار لهم إلا الكتابة عن آلامهم، وأن سرد وخيال الكاتب يخففان مـن ضـغوطه وأزماته النفسية. أظن أن ذلك صحيح بالنسبة لي مثلمـا هـو صحيح بالنسبة للكتّاب الآخرين.

مع هذا أتمنى أن يجد القارئ شيئا أبعد من استكشاف الألم في قصصي. أتمنى أن يجد مساحة من الأمـل، بعـض خيـوط البهجة التي لابد أن تمنحها الحياة رغم كـل شـيء. إذا مـا



استطاع قارئٌ أن يخرج من قصصي بشعور يقول إن الحيـاة رغم صعوبتها وتعنتها بوسعها أن تكون، بين وقـت وآخـر، شيئا مجيدا رائعا، شيئا يجب أن نرعاه ونعتز به، إذا استطاع ذلك سأكون قد نجحتُ ككاتب.

أرجو أيضا أن أؤكد بطريقة ما عبر بعض قصص هذا الكتاب على شيء أثق أنكم تعرفونه بالفعل جيدا– أن البشر سواء في كل أركان الأرض، بصرف النظر عن مـوقعهم، وجنـسهم، وعِرقهم، ودينهم. يجب في النهاية أن نتعلم الدرس الجلي في ذاته : أن ما يوحدنا أهم بكثير جدا ممـا يـشتتنا ويقـسمنا. وبمجرد أن نتعلم ذلك الدرس، يجب أن نعمـل رأسـا علـى الاحتفال بحقيقة أننا جميعنا مخلوقات غير مكتملة، سوى أننـا جميعنا نتشارك في شيء أهم: الإنسانية.

لو أخفقنا في عمل هذا، سيلوح المستقبل موحشًا بالفعل.

من أجل ذلك يجب ألا نخفق.

أشكركم على قراءة مجموعتي القصصية.

جون ريفنسكروفت

لينكولنشاير

يوليو 2005

مقدمة المُترجِمة

يلتقي القارئُ في هذه المجموعة باثنتي عـشر قـصة للأديب الإنجليزي المعاصر "جـون ريفنـسكروفت"، John Ravenscroft ،الذي فاز بجائزة رفيعة فـي لنـدن العـام الماضي 2004هي "كاتـب هـذا العـام" ' Writer of the Year'. بالإضافة إلى حوارٍ أجريناه معه وترجمناه لجريـدة "القاهرة" المصرية يجده القارئ في نهاية هذا الكتاب.

جون ريفنسكروفت، قاص وروائي إنجليزي معاصـر ولد عام 1954 ويعمل محررا لمجلة "كـادينزا" البريطانيـة. وهي مجلة ثقافية فكرية أدبية تعمل، حسب محرريها، علـى تبني الرفيع من الأدب الإنجليزي من قص وشـعر وروايـة ونقد.

حصدت قصصه العديد من الجوائز الأدبية من بينهـا جائزة الكومنولث. وقد عمدنا إلى اختيار وترجمة مجموعة من أعماله التي فازت بجوائز أدبية إنجليزية أو عالمية.

منهجه السردي يمتاز بالتقاطه دقائق الحياة غير الملفتة واقتناص الشعريةَ منها عبر الموقف الدرامي أو مـن خـلال المونولوج الداخلي الطويل راسما صوره التشكيلية في نقلات مباغتة ومفارقة، وساخرة أحيانًا، ليكون بنيةً سردية تنبع مـن وتصب غالبا في أحد الأسئلة الوجودية.

يستلهم مفردات تأمّله من (الشيء) ومدى تأثّره بـه / وتأثيره على (الإنسان)، انطلاقا من كون المرء والموجودات في حالٍ دائمة من الجدل والحوار. يناقشُ القاص أزمةَ الإنسان عبر مواقفَ حياتيةٍ تبدو، ظاهريا، بسيطةً وبديهية، بل تكـاد تكون يومية عابرةً غير ملفتةً، سوى أنه ينجح فـي اقتنـاص العمق الوجودي منها والمحنة التي تعانيها شرائح محددة مـن البشر.

أبطال قصه نماذج بشرية غير نمطيـة، ذات طبيعـة خاصة، قد تنسحب خصائـصها علـى غيـر الأسـوياء، أو السجناء[1] أو المنقسمين على ذواتهم من البشر، أو أولئك ذوي الحساسية الشفيفة مثل شريحة الفنانين، أو المرضى[2] أو حتى العشاق الذين دحرهم الفقد[3].

الإنسان على الخط البياني للزمن في حالاته "الحديـة" مثل "المعمرين"[4] في مراحل حيواتهم الأخيرة حين تنكشف لهم الحياة كاملةً مثل كتابٍ انتهتْ قراءتُه للتو. هؤلاء الموغلـون في الحياة والزمن والتجربة عبر جدليتهم الإنسانية الملتبـسة بين الوهن الفيزيقي من جانب، وحدة البصر الرؤيـوي مـن الجانب الآخر. أو نقيض ما سبق تماما، أي الإنسان (تقريبا)، الإنسان قبل نقطة "الصفر" على منحنى الزمن، الإنسان قبل أن

---

[1] - وجبة إفطار مع "آندي"
[2] - قنص الياسمين
[3] - أحوال المادة
[4] - أغنية من أجل "جيني"

يكتمل، أي "الجنين"[1]. كيف يرى الجنين العالم وكيف يتطلـع إلى رؤاه المستقبلية.؟ أو الإنسان فـي حـال الهـروب إلـى "الحلم"[2]، الحلم النومي أو حلم اليقظة، حين يتحرر ذهنه مـن عوائق وأحابيل المنطق وقوانين الفيزيقا ليحلّق حرا طليقًا في رحابة الميتافيزيقا وفانتازيا الخيال الحـر. أو الإنـسان فـي علاقته مع الكائنات الأخرى من حيوان أو نبات، كيف يحـدد قانون الموت والحياة بالنسبة لتلك الموجودات التي تـشاركه العالم[3]. أو حتى في علاقته مع الموجـودات غيـر الحيـة، الجوامد، ذكرياته مع الأشياء التي تجادله طوال اليوم وكيـف يمكن أن تأسره في عوالمها الخاصة[4].

كل الشرائح السابقة تلك، أو لنقلْ كل حالات الإنـسان المتباينة تلك تلتقي كثيرا، برأيي، وتتقاطع، إذ أنها مرايا للنفس البشرية في أصفى حالاتها وأكثرها أثيريةً وبعدا عن الأرض. إنه الإنسان بكل ما يحملُ من ضعفٍ وقـوة، فـي آن، فـي مختلف درجات إنصاته للوجود والموجودات تبعـا لفرادتـه الخاصة وتبعا لأسلوب رؤيته العالم، ووجهة نظره الخاصـة عن فكرة الخلق والحياة.

أجاد القاص معالجته تيمة "الفقد". ربما براعتـه تلـك بلورتها محنةٌ شخصية مر بها حين فقد شقيقته، كما سـنعرف من خلال الحوار معه. حين يفقد الإنسان شريكه الأهـم فـي

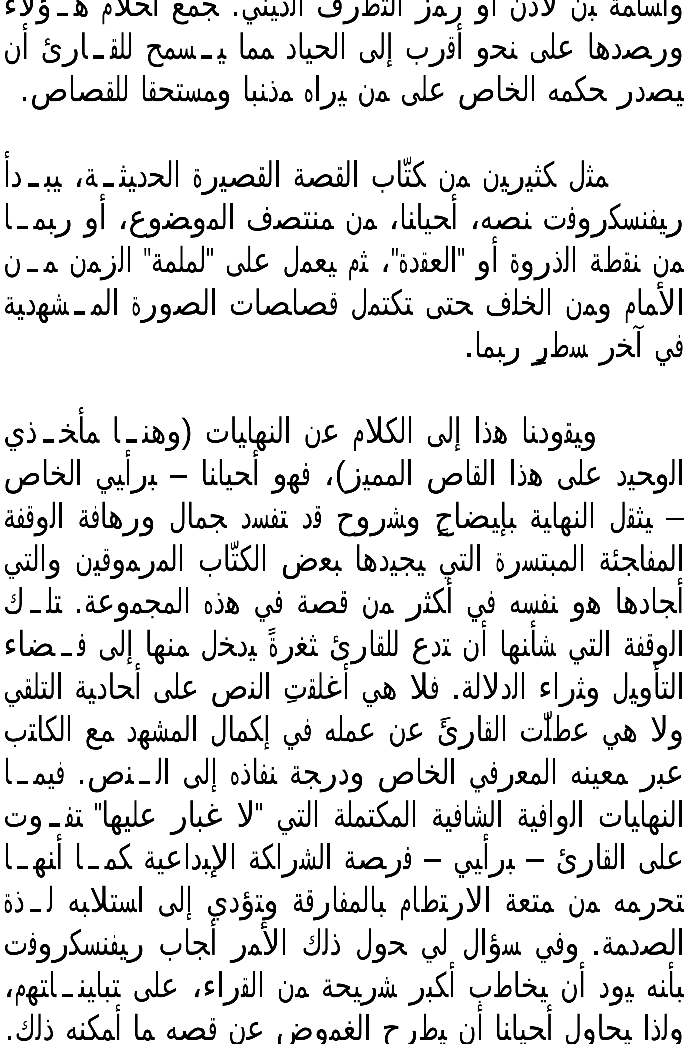
---

[1] - رحمٌ يتأهب للولادة
[2] - الجَرَس – أحلام أسامة
[3] - قتل الأرانب
[4] - الأشياءُ التي تركتِ وراءَكِ

الحياة، هل يحاول أن يستبدل بالمفقود بعضا منه ؟ أشياؤه التي تركها مثلا؟ قصاصات الورق؟ قلامات الأظافر؟ شعرة مـن جسده؟ أو حتى بعضا من بوله؟! كيف يمكن أن تـشف روح الإنسان في وحدته إلى درجة أن يتوسل محبوبه الغائب عبـر مخلفاته الصغيرة ؟!

يجمع أسلوبه اللغوي بين الكلمة الإنجليزية (البريطانية) الرفيعة وبين التعبيرات الدارجة الحديثة. يجيد القفز بينهما في نقلاتٍ رشيقة لا نتوءاتِ حادةً بها تعرقل استرسـال التلقـي، وبغير إثقالٍ من أي منهما على الأخرى. كما يجيد الجمع بين الجملة الطويلة التي تزخر بالجمل الاعتراضية، وبين الجملـة الخاطفة المباغتة التي تشبه الومضات أو الطلقات التي تعمـل على إنارة النص حينًا، وفي حين آخر تعمل علـى تـسريب شحنةٍ من الصدمات المتوالية التي قد تحول مـسار الاتجـاه الفكري للقارئ الذي كان ركن إليه قبل لحظة بمعرفة الكاتب.

وعن المعجم الخاص بالكاتب، لابد أن نذكر أنـه لـم يكتف بمعجمه البريطاني بل انفتح على ثقافات العالم مثلما نجد في قصة " أحلام أسامة" حين استعار مفرداتٍ مـن المعجـم العربي، بل الإسـلامي، مثـل كلمـات: مجاهـدين - أمـة (ummah -mujahedin)، أو حتى تراكيب عربية من قبيل "العين بالعين والـسن بالـسن" ('An eye for an eye, A tooth for a tooth.') تلك القصة، "أحلام أسـامة"، التـي لخّصت كارثة الإرهاب والتطرف الإسلامي بأسلوب أقـرب إلى الدعابة والكوميديا السوداء، حين جمع "أحلام" الأقطـاب الأربعة المشتجرة فوق مسرح الإرهاب: المـدنيون الأبريـاء الصرعى، أمريكا بوصفها القوة المهيمنة في العـالم، الـدين،



وأسامة بن لادن أو رمز التطرف الديني. جمع أحلام هؤلاء ورصدها على نحو أقرب إلى الحياد مما يسمح للقارئ أن يصدر حكمه الخاص على من يراه مذنبا ومستحقا للقصاص.

مثل كثيرين من كتّاب القصة القصيرة الحديثة، يبدأ ريفنسكروفت نصه، أحيانا، من منتصف الموضوع، أو ربما من نقطة الذروة أو "العقدة"، ثم يعمل على "لملمة" الزمن من الأمام ومن الخلف حتى تكتمل قصاصات الصورة المشهدية في آخر سطرٍ ربما.

ويقودنا هذا إلى الكلام عن النهايات (وهنا مأخذي الوحيد على هذا القاص المميز)، فهو أحيانا – برأيي الخاص – يثقل النهاية بإيضاحٍ وشروح قد تفسد جمال ورهافة الوقفة المفاجئة المبتسرة التي يجيدها بعض الكتّاب المرموقين والتي أجادها هو نفسه في أكثر من قصة في هذه المجموعة. تلك الوقفة التي شأنها أن تدع للقارئ ثغرةً يدخل منها إلى فضاء التأويل وثراء الدلالة. فلا هي أغلقتِ النص على أحادية التلقي ولا هي عطلّت القارئَ عن عمله في إكمال المشهد مع الكاتب عبر معينه المعرفي الخاص ودرجة نفاذه إلى النص. فيما النهايات الوافية الشافية المكتملة التي "لا غبار عليها" تفوت على القارئ – برأيي – فرصة الشراكة الإبداعية كما أنها تحرمه من متعة الارتطام بالمفارقة وتؤدي إلى استلابه لذة الصدمة. وفي سؤال لي حول ذلك الأمر أجاب ريفنسكروفت بأنه يود أن يخاطب أكبر شريحة من القراء، على تبايناتهم، ولذا يحاول أحيانا أن يطرح الغموض عن قصه ما أمكنه ذلك.

لا تخلو قصص ريفنسكروفت من ومضات من الواقعية السحرية واستجلاب الميتافيزيقا أحيانًا (كما نلمس في : رجِمٌ يتأهب - النبتة الصغيرة)، أو الاتكاء على الحلم بكل ما فيـه من فوضى وخرق لقوانين المنطق والتعليل (الجـرس)، إلـى جوار الواقعي والمتعين الممسوس بخيطٍ من الرومانسية أحيانًا (البومة) تلك القصة الحافلة بكثير من الصور الشعرية وكثير من أسباب الشجن الإنساني الرفيع. وفي حين آخر قد يوسـل الحقائق العلمية في بناء شعرية نصه ما يحقق الجديلة الثريـة الجميلة بين العلم والأدب (أحول المادة). كل تلـك الخيـوط، التي ينجح ريفنسكروفت في غزل نسيجه عبرها، تجعل مـن تجربته مشروعا أدبيا متنوعا وثريا وجديرا بالترجمة.

ورغم أن السرد أحد أقدم الفنون الإبداعية التي عرفهـا الإنسان إلا أن فن القصة القصيرة لم يتم تأصيله في العالم إلا في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر فيما فن الروايـة أكثر إيغالا في القدم. فقد غدت الرواية شكلاً مستقلاً من أشكال الأدب في القرن الثامن عشر الميلادي في إنجلترا، حتى ولـو استطعنا رصد جذورها الممتدة بعيداً فـي الأدب الإغريقـي القديم.

ظهرت ملامح النضج القصصي الأولى فـي أعمـال بعض الكتاب مثل تشيكوف وموباسان بينما لم تتجل ملامـح التكثيف الدلالي والتعبير الفني الحداثي العالي إلا في أعمـال المحدثين في بداية القرن العـشرين مثـل جـويس وكافكـا وهيمنجواي وغيرهم، ورغم ذلك لم تَسد نظريةٌ واحدةٌ وقتئـذ تحدد معايير هذا الفن.

ويمكن لمتتبع الإبداع الروائي أن يلمس كيف تطـورت طرائق السرد عند المبدعين منذ بداية القرن العشرين وحتـى نهايته مرورا بالمرحلة الوسطي التي تحول فيها السرد نوعيا على يد رواد الحداثة من أمثال بروست وجـويس وفرجينيـا وولف.

ظهرت بادرات التجديد عبر أعمال تعتمد التجريب في محاولة التعبير عن أزمة الإنـسان الروحيـة فـي العـصر الصناعي الحديث، عن نوازعه النفـسية وأعماقـه الخبيئـة ومزاجه القلق. وتجلى خط التأزم الروحي والأخلاقي في بطل كافكا الذي يعيش صراعاً ضاغطا في مواجهة العالم المـادي المميكن البيروقراطي الذي أحال البطل إلى صرصـار فـي رواية "المسخ". وتزامن ذلك مع تجريب مارسـيل بروسـت وفرجينيا وولف في تقنية الكتابة بوصفها حفرا فـي الـذاكرة مختلطة برؤى تصنعها أحلام اليقظة عبـر تفتيـت الـزمن والأحداث وانتثار وتشظي الوقائع إلى دقائق صـغيرة، فيمـا عرف بتيار الوعي الذي حاول رسـم الـرؤى والمـشاعر والذكريات التي تفيض بها عقول الشخوص وقد برعت فيـه وولف مع إضافة تقنية الرمز لتؤكد هشاشة العلاقات الإنسانية في عالم انهارات قيمه الاجتماعية كما نلمح في العديـد مـن أعمالها مثل "صوب المنارة – وبين فصول العـرض. كمـا أثرت الحركة الوجودية بشكل كبير على الأدب في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، فظهرت أعمـال تكـرس عبثية الحياة وتشوشها ولا جدواها كما فـي أعمـال سـارتر وكامو.

تبنى الفن بعدئذ نهج هـدم المـسلمات القائمـة فـي تصوراتنا عن الأشياء، إذ لا شيء محددا يمكن أن نطلق عليه واقعا إلا عبر رؤيتنا له من منظورات متباينة تبعـا للظـرف والعين الراصدة وزوايا النظر. وقد ترتب على ذلك تطور في الأدوات الفنية فيما يتعلق بالبنية الـسردية للـنص، فأصـبح السارد يعتمد العبارات المبتسرة الحـادة المتـشظية محـاولا الوصول إلى شيء من الحيادية في رصد العالم، متخلصا من النزعة الذاتية التي تخالط عادة الأعمال الأدبية. حاول بعـض المبدعين تنحية النوازع البشرية من حب وكراهية وانفعالات وثورية تاركا للقارئ حريـة بنـاء رؤاه الخاصـة. وظـل التجريب في الأدب معنيا طوال الوقت بالبحث عـن أشـكال جديدة تناسب العصر. وقد ترافق مع هذا التوجه بروز تيارات عالمية في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين في فـن السرد الذي غدا يمتلك القدرة العاليـة علـى الإيحـاء رغـم التصاقه الشديد بالواقع، والـذي قـد يجمـع بـين الوثائقيـة والانغماس المفرط في التفاصيل الصغيرة التافهة حد الملل ثم المرور العابر علـى الأحـداث الكبـرى مثلمـا نجـد فـي روايـ ـ ـة "العطر" الشهيرة لزوسكيند.

ما الذي فجر هذا التغير تحديدا؟ هل هموم الإنسان ذاته (كموضوع)، أم أن الذي تغير هو رؤيـة المبـدع (كفاعـل) لموضوعه وطرائق توسله الجماليات الفنية الجديدة لبناء هيكله الدرامي؟ أم أن الثورة الصناعية واشتعال الحروب الكونيـة، ودخول الحرب الكيماوية (تلك التي أبرزت نزعـة الإنـسان الوحشية التدميرية) ضمن تقنية الحرب العالمية الأولى وتبدل

خريطة العالم كان لها انعكاسها المنطقي على الفن باعتبـاره انعكاسا لمجريات الحياة؟

القرن العشرون يعكس سمات التناقض الـشديدة فـي الإنسان. إذا ما تأملنا المنجـزات الـصناعية والتكنولوجيـة الكبرى سيما الثورة النووية ثم الرقمية التي أنتجتهـا عقـول لامعة من العلماء من جهة، والتي تزامنت مع – وربمـا أدت إلى - النزعات السيادية التخريبية الكبرى التي تجلّـت فـي الحروب ومحاولة الاستئثار بالهيمنة على العـالم مـن جهـة أخرى، تزامنًا مع العديد من النظريات الوضـعية والفكريـة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التـي أنتجتهـا مجمـل الفلسفات الحديثة على تناقضها، ثم المنـاداة بـسقوط مجمـل السلطات الفكرية والدينية، لاكتشفنا كم هو قرن ثري غرائبي مشحون بالمفارقات. وكان بديهيا أن يتأثر الفن بوجه عام بكل تلك الالتباسات والهزات التي خلخلت ثوابت الإنـسان التـي كانت زرعتها، إلى حد بعيد، العقائد الدينية.

إلى أي مدى انزاحت طرائق تنـاول الكاتـب لهمـوم الإنسان سياسيا واجتماعيا ووجوديا منذ الكلاسيكية كمـا فـي "الحـرب والـسلام" لتالـستوي أو حتـى "الـدون الهـادئ" لشولوخوف، رغم انزياحها قليلا عـن الواقعيـة الاشـتراكية بمعناها المثالي بالمفهوم الأدبي النقدي، وحتى الآن؟

إلى أي مدى تبنى المبدعون مبدأ الفن للفن الـذي بـدأ التنظير له إدجار آلان بو، وإن اكتفى بالتنظير ولم يتجل ذلك كثيرا في سرده وشعره، عوضا عن مبدأ الفـن ذي الرسـالة المحمل بأثقال القضايا وهموم المجتمع والوطن؟ وكيف يحاول كتّاب اليوم عمل معادلة محسوبة تجمع بين المبدأين الـواقفين على طرفي النقيض بحيث لا تطغى الأيديولوجيا على الفن، أو

يحلّق الفن منفصلا عن الحياة والأرض ؟ هل من الممكن حقا الوقوف على أرضٍ سواء بين الفن والرسالة؟

ربما عبر هذه المجموعة ومقارنتها مع معيننا المـدخَر من قراءاتنا المتراكمة يمكننا أن نقف على إجابةٍ للسؤال التالي : كيف عبر قلم المبدع عن محنة الإنسان عبر الزمن؟

هل تغيرت رؤية المبدع للوجود ؟ أم أن الذي تغير هو شكل التعبير عن تلك الرؤية ؟ هل تغير "البطل" المروي عنه من الفارس إلى "المهمش" المطحون الذي لـم يكـن ليغـري الكتّاب القدامي بتبنيه كموضوع؟ هل تباينتْ أزماتُ الإنـسان منذ بداية القرن الماضي وحتى نهايته ؟ خلال فتـرةٍ خـاض خلالها حربين كونيتين، وتغيرت ملامح الخارطة؟ فترة صنع فيها الإنسان وعاش تحولاتٍ سياسيةً واجتماعيةً وتكنولوجيـةً وثقافيةً وفلسفية وفكرية كبرى، قرن من الزمان نشأت خلاله مدارس وانهدمت أخرى، كيف تبدل الإنسان وكيـف تبـدلت همومه وأحلامه ؟

والأهم من ذلك كيف تبدلت العين الراصدةُ له : عـين المبدع ؟

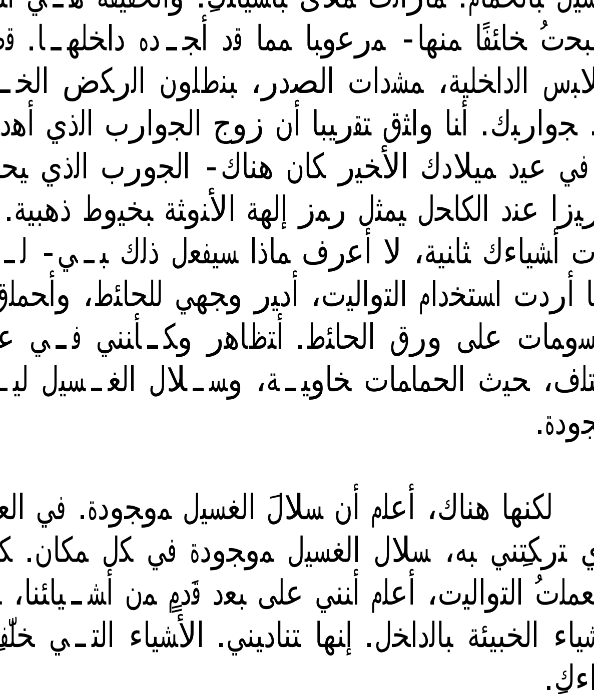
***

فاطمة ناعوت

مدينة الرحاب

يونيو 2005

الأشياءُ التي تركتِها وراءَكِ*



طوال الأسبوع الماضي، لم يكن بوسعي النظر إلى سلّة الغسيل بالحمام. مازالت ملأى بأشيائكِ. والحقيقةُ هي أنني أصبحتُ خائفًا منها- مرعوبا مما قد أجده داخلها. قطع الملابس الداخلية، مشدات الصدر، بنطلون الركض الخاص بكِ. جواربك. أنا واثق تقريبا أن زوج الجوارب الذي أهديته لك في عيد ميلادك الأخير كان هناك- الجورب الذي يحمل تطريزا عند الكاحل يمثل رمز إلهة الأنوثة بخيوط ذهبية. لو رأيت أشياءك ثانية، لا أعرف ماذا سيفعل ذلك بي- لذلك، كلما أردت استخدام التواليت، أدير وجهي للحائط، وأحملقُ في الرسومات على ورق الحائط. أتظاهر وكأنني في عالمٍ مختلف، حيث الحمامات خاوية، وسلال الغسيل ليست موجودة.

لكنها هناك، أعلم أن سلالَ الغسيل موجودة. في العالم الذي تركتِني به، سلال الغسيل موجودة في كل مكان. كلما استعملتُ التواليت، أعلم أنني على بعد قَدمٍ من أشيائنا، من الأشياء الخبيئة بالداخل. إنها تناديني. الأشياء التي خلّفتِها وراءكِ.

---

* جائزة متاهة البرتقالة Orange Labyrinth Competition

لذلك سوف أتعامل معها اليوم. اليوم سأُفرغُ السلّة.

وها هي الطريقة التي سيتم عليها الأمر.

سأجد قطعة الملابس الداخلية التي تخصك، لونها أصفر فاتح ولها أحزمة حول الخصر. شعرتان ملتفتان مـشتبكتان ببطانة السروال. إنه شعرك.

سأجلس لبرهة بعدما أضعهما في راحة يدي، ثم آتـي بقصاصة ورق. سأفرد الشعرتين على الورقـة وأحـاول أن أقيس طولهما. يبدو ذلك أفضل ما يمكن فعله، أوقن أن فعـلَ ذلك سيجعلني في حال أفضل. مثل ذاك اليوم الذي أعاد فيـه البوليس أغراضك الشخصية، قلتُ شكرا، أنتم طيبـون جـدا، وبعدما مضى رجال البوليس، تناولتُ ميزان المطبخ وشـريط القياس ورحتُ أزن أغراضك وأقيسها.

هل تذكرين مفاتيحك؟ وزنهم 78 جراما، وكان الأكبر بين المجموعة(مفتاح سيارتك) بطول 73 مليمترا.

شعرتاك ستكونان وغدتين إلى حدٍ ما. تتصرفان علـى نحوٍ سيء. كلما شددتهما تلتفان حول إصبعي من جديـد . لا جدوى، لن يفعلا ما أريد.

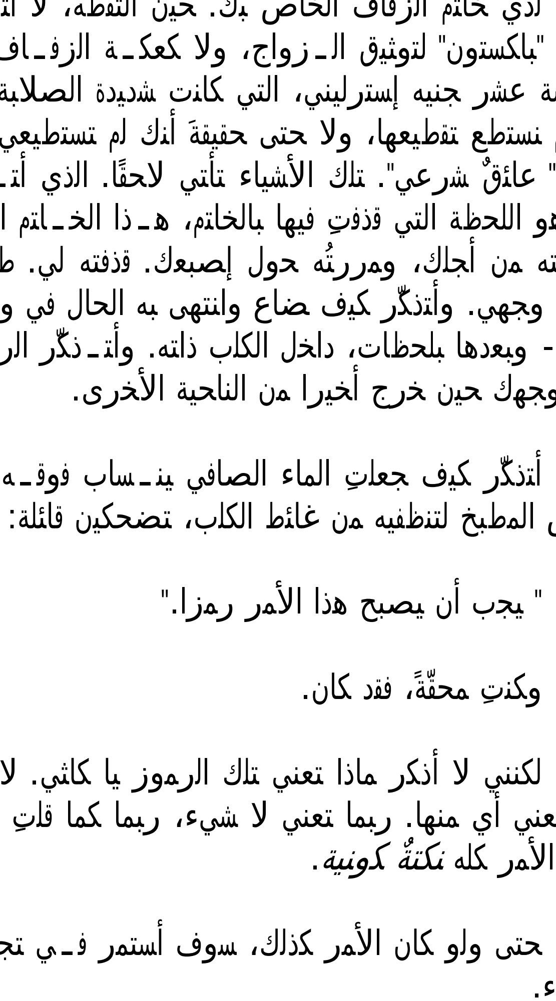
تبدوان مألوفتين؟

سوف أنجح في النهاية. إحدى الشعرتين ستكون 24 مليمترا طولا، والأخرى 27.5 مليمترا. سوف أقيس بعضا من شعيراتي لأقارن. ستكون أطول بكثير، وسوف أتساءل ما إذا كانت هذه اختلافات أساسية بين الذكر والأنثى، أم أن الشعيرتين اللتين وجدتهما في سروالك تصادف أن كانتا قصيرتين.

سألصق شعرتيك على الورقة، واحدةً جوار الأخرى، أغطيهما بشرائح اللاصق الشفاف، وأدون تفاصيلهما. ثم أضع الورقة في مظروف أكتب عليه بخطٍ أنيق "شعيرات كاثي(2)"، ثم أضعه في الصندوق، في محاذاة بقية الأشياء التي نجحتُ في استنقاذها من الغرق.

بعد ذلك، في نهاية إحدى ساعات الليل المرهقة، سوف يغدو المنزل كبيرا جدا، ولن يكون بوسعي النوم، ولن يكون هناك شيء بالتلفزيون سوى بعض برامج البورنو الخفيفة وعروض المسابقات، لذلك سوف أُخرج الصندوقَ من مخبئه، وأتفحص ما به مليا، ببطء، أستنشقُ، لن أتعجل، سوف أمتص آثارك وشذراتك بشفتي وأنفي ولساني وأصابعي.

مداخل المباني، هكذا أفكر بها. الأشياء التي تركتِ وراءكِ هي المداخل، مداخل الذكريات، ممرات الوميض والتحولات. أمر عبر هذه، أو تلك، لأجد نفسي في بقعة مختلفة منك. بقعة مختلفة منّا.



لدي خاتم الزفاف الخاص بك. حين ألتقطه، لا أتذكّر مكتب "باكستون" لتوثيق الزواج، ولا كعكة الزفاف ذات الخمسة عشر جنيه إسترليني، التي كانت شديدة الصلابة حتى إننا لم نستطع تقطيعها، ولا حتى حقيقةَ أنك لم تستطيعي نطق كلمة " عائقٌ شرعي". تلك الأشياء تأتي لاحقًا. الذي أتذكّره أولا هو اللحظة التي قذفتِ فيها بالخاتم، هذا الخاتم الذي اشتريته من أجلك، ومررتُه حول إصبعك. قذفته لي. طوحتِ به في وجهي. وأتذكّر كيف ضاع وانتهى به الحال في وعاء الكلب- وبعدها بلحظات، داخل الكلب ذاته. وأتذكّر الراحة على وجهك حين خرج أخيرا من الناحية الأخرى.

أتذكّر كيف جعلتِ الماء الصافي ينساب فوقه في حوض المطبخ لتنظفيه من غائط الكلب، تضحكين قائلة:

" يجب أن يصبح هذا الأمر رمزا."

وكنتِ محقّةً، فقد كان.

لكنني لا أذكر ماذا تعني تلك الرموز يا كاثي. لا أذكر ماذا يعني أي منها. ربما تعني لا شيء، ربما كما قلتِ أنتِ مرةً، الأمر كله *نكتةٌ كونية*.

حتى ولو كان الأمر كذلك، سوف أستمر في تجميع الأشياء.

الأسبوع الماضي وجدت قلامةَ ظفر إصبع قدم ضـالة كانت مختبئة تحت حوض الحمام. بها أثر من طلاء أظـافر أحمر، لهذا عرفت أنها لك. وكذلك – أظن في اليوم ذاتـه – صادفتُ قائمةَ مشترياتٍ مكرمشة في جيبِ معطفـك، وكـذا إحدى شخبطاتك: أرنب رسومٍ متحركة مرسوم بعشوائية على ورقة ملاحظات صفراء- كنت وضعتِها داخل الكتـاب كـي تحددي أين وقفتِ. " هاري بوتر" و حجر الفلاسـفة. الكتـاب الأخير الذي كنتِ تقرئينه، لكن الأرنب أخبرني انكِ لم تنتهي من قراءته. وصلتِ إلى صفحة 29 – تماما مثل عمرك. هل يعني ذلك أي شيء ؟

لا أظن يا كاثي. لكنني سوف أحتفظ بالكتاب وبالعلامة وبالشخبطة وبقلامة الظفر وبشعيرات العانة وبمفتاح سيارتك وبخاتم الزفاف وبكل القطع الصغيرة الحزينة الآسـفة التـي تركتِها وراءك. سوف أحفظها جميعا في صندوقي.

وسوف أعملُ قدر إمكاني على الاحتفاظ، لأطول وقت ممكن، بالشيء الأشد حزنًا والأشد أسفًا منها جميعا.
سوف أحتفظُ بنفسي.

***

البومــــة*

كان الكوخُ بديعا – كل النوافـذ مـن ألـواح خـشب الصنوبر الثقيلة بارتفاع من الأرض إلى السقف، على مـدار ثلاثة أوجه من أوجهه الأربعة. كان "سايمون" قد أحب شـكلَ الكوخ بمجرد أن رأى صورته في كتيب الإجازات. غير إنـه أحب الكوخ الحقيقي أكثر.

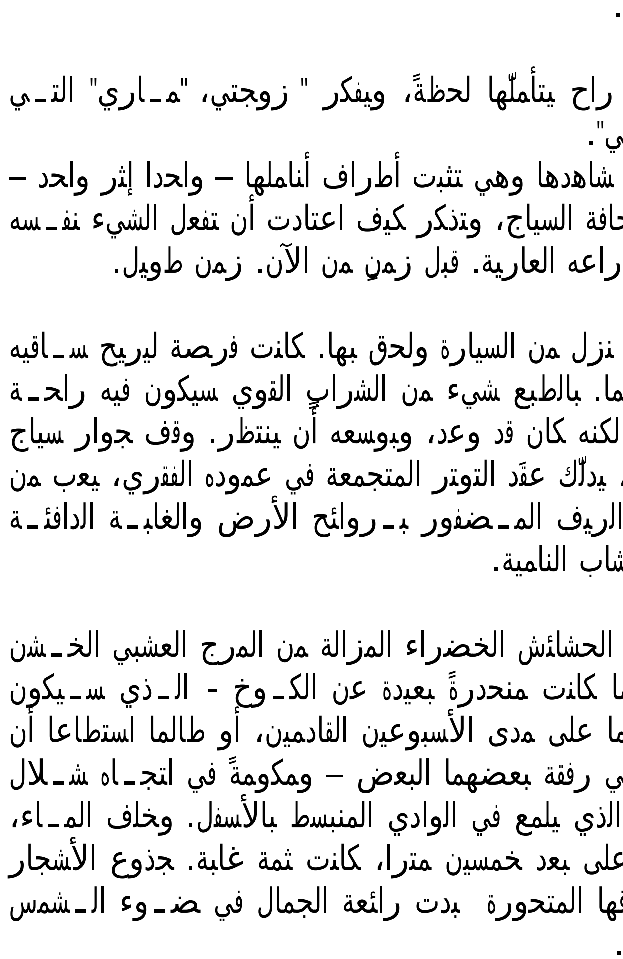
" ما رأيكِ؟" سأل "ماري" بينما تخشخش سيارتهما عند المدخل المغطى بالحصى الصغير.

التفتت إليه وتنهدت قائلةً:

" أعطني فرصة ؟"
- " آسف! ." قال سايمون

أوقفَ السيارة وهبطت ماري. مـشتْ صـوب سـياج مطلي يفصل واجهة الكوخ عن الحقل. سـياج مـن الأوتـاد البيضاء، يشبه ذلك الذي يعرف أنها حلمت به حين كانت فتاة صغيرة. تحقّق حلمها عبر قرار سايمون الأخير. كـان هـذا

* جائزة جاكي بينيت الأدبية Jacqui Bennett Writers Bureau



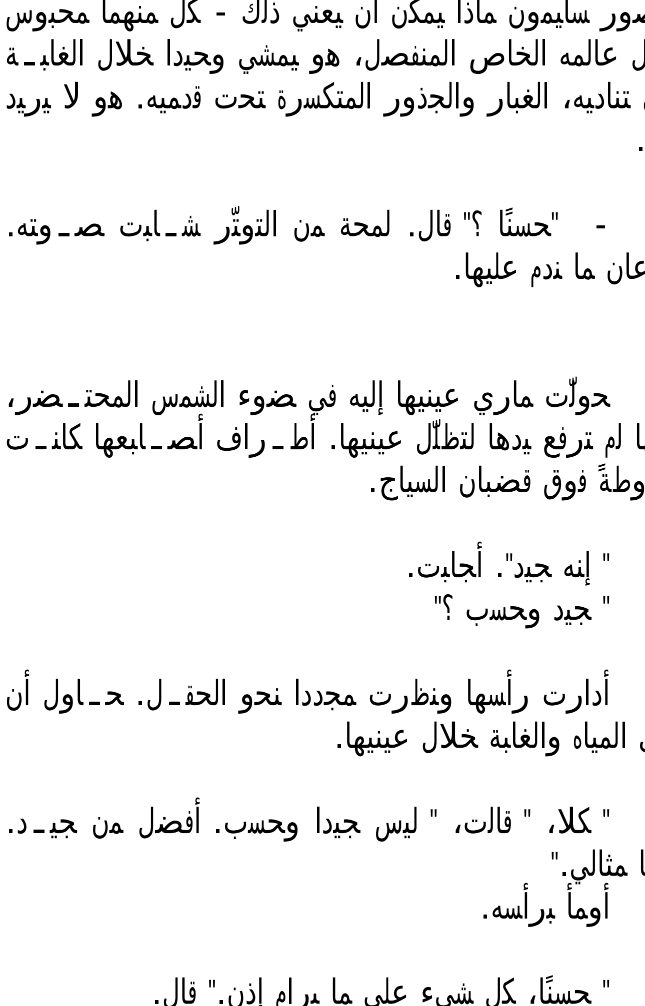
الحلم هو أحد أسباب اختياره هذا الكوخ تحديدا وهذا الموقـع تحديدا.

راح يتأملّها لحظةً، ويفكر " زوجتي، "مـاري" التـي تخصني".

شاهدها وهي تثبت أطراف أناملها – واحدا إثر واحد – فوق حافة السياج، وتذكر كيف اعتادت أن تفعل الشيء نفـسه فوق ذراعه العارية. قبل زمنٍ من الآن. زمن طويل.

نزل من السيارة ولحق بها. كانت فرصة ليريح سـاقيه ويمدهما. بالطبع شيء من الشراب القوي سيكون فيه راحـة أكبر، لكنه كان قد وعد، وبوسعه أن ينتظر. وقف جوار سياج ماري، يدلّك عقَد التوتر المتجمعة في عموده الفقري، يعب من هواء الريف المـضفور بـروائح الأرض والغابـة الدافئـة والأعشاب النامية.

الحشائش الخضراء المزالة من المرج العشبي الخـشن أمامهما كانت منحدرةً بعيدة عن الكـوخ - الـذي سـيكون كوخهما على مدى الأسبوعين القادمين، أو طالما استطاعا أن يبقيا في رفقة بعضهما البعض – ومكومةً في اتجـاه شـلال المياه الذي يلمع في الوادي المنبسط بالأسفل. وخلف المـاء، ربما على بعد خمسين مترا، كانت ثمة غابة. جذوع الأشجار وأوراقها المتحورة بدت رائعة الجمال في ضـوء الـشمس المائلة.



نظرت ماري نحو المشهد غير إنها ظلّـت صـامتة، وتصور سايمون ماذا يمكن أن يعني ذلك - كل منهما محبوس داخل عالمه الخاص المنفصل، هو يمشي وحيدا خلال الغابـة التي تناديه، الغبار والجذور المتكسرة تحت قدميه. هو لا يريد ذلك.

- "حسنًا ؟" قال. لمحة من التوتّر شـابت صـوته. سرعان ما ندم عليها.

حولّت ماري عينيها إليه في ضوء الشمس المحتـضر، لكنها لم ترفع يدها لتظلّل عينيها. أطـراف أصـابعها كانـت مربوطةً فوق قضبان السياج.

" إنه جيد". أجابت.
" جيد وحسب ؟"

أدارت رأسها ونظرت مجددا نحو الحقـل. حـاول أن يرى المياه والغابة خلال عينيها.

" كلا، " قالت، " ليس جيدا وحسب. أفضل من جيـد. ربما مثالي."
أومأ برأسه.

" حسنًا، كل شيء على ما يرام إذن." قال.

بعد برهة عادا إلى السيارة وبدآ في تفريغ أغراضهما.

***

كان بالكوخ سريران متشابهان. سألها إذا كانت ترغب في ضمهما معا. نظرت إليه، لكنه لم يستطع قـراءة التعبيـر فوق وجهها.

" هل يزعجك إذا لم نفعل؟ " قالت. " ليس الليلة علـى أية حال. ربما فيما بعد."

***

جلس على أحد المقاعد ذات المـساند داخـل الكـوخ، زجاجة خمر على الطاولة إلي جواره. شاهد "ماري" تتجـول في الخارج. بعد برهةٍ عادت أدراجها إلى مكانها جوار السياج وزرعت نفسها هناك، متوجهةً بنظرها إلى القمر. كانت ليلـة دافئة. النشرة الجوية وعدت بهذا. كل شيء على ما يرام حتى الآن.

كانت الكلمات قليلة، لكنهما أفرغا أمتعتهما، أعدا وجبةً سويا، جلسا، تناولاها معا. أطلق نكتةً، وابتسمت ماري. لـم تذكر شيئا بشأن إسرافه في الخمر. وهو لم يثر مشكلة بـشأن السريرين.

- " هذا مكان جميل،" هكذا قال للغرفة الخاوية.

رفع كأسه، وشاطر الكوخَ نخبه ، شرب نخب الغابـة، شلال الماء، شرب نخب قراره. ثم نظر عبر الزجاج، ورأى ماري في ضوء القمر وقد تحولت إلى تمثال من الذهب.

كان قد حجز للإجازة من غير أن يخبرهـا – باغتهـا بالخبر امس، وضعها أمام الأمر الواقـع. اشـتعلت غـضبا، وكادت ترفض المجيء. مر الوقت فيما يقود السيارة إلى هنا على نحوٍ غيرِ مريحٍ على الإطلاق. لكنهما هنـا الآن، كـان سعيدا وتمنى أن تكون سعيدة أيضا.

- " مكان جميل،" قالها ثانيةً. رجع الـصوتُ إليـه، دافئًا خشبيا عبر الكوخ الصنوبري.

التفتت ماري. توقفتْ. ثم رمت بـصرها إلـى البعيـد مجددا.

في القديم كانت تستطيب صوتَه. كم قالـت: " حـسنًا، رغم إنك تشبه الكلب، لكن على الأقل لك صوت لطيف."

كانت تضحك ضحكة واسعة وتلوي شـفتيها بـسعادة حين يعرض عليها أن يقرأ لها في السرير. كم أحب أن يراها تسقط في النوم على صوته فيما يقرأ. مازال بوسعه أن يشعر بأناملها ترتاح فوق فخذه، بوسعه أن يتذكر شـعوره بالأمـان وهي تنجرف بعيدا في قصص "هـ إي بيتس"1 أو "تومـاس

[1] - Herbert Ernest Bates قاص وروائي إنجليزي اشتهر بقصص الريف

هاردي". حتى بعد أن تنام كان يواصل الحكي، كـان يحبهـا بصوته ويود أن يرسله إليها في أحلامها.

عند نقطة ما توقفا عن فعل ذلك. لا يتـذكر لمـاذا، أو متى.

رشف من كأسه وفكر في اليوم الذي حملها فيـه إلـى أعلى السلم في بيتهما الأول – شقة ضيقة أعلى دكـان بيـع الطلاءات. تألم ظهره يومها، واضطر إلى النوم على الأرض ثلاث ليال. كانت تطعمه حساء، وفي يوم جاءت البيت بكلـبٍ صغير. في تلك السنوات الأولى كانوا غالبا يجلسون ثلاثـتهم في الشرفة يشاهدون العابرين، وحركة المرور، ويـشاهدون السيارات التي تزحف صوب الشارع الرئيسي.

- " تحب أن تراقب الحياةَ، أليس كذلك؟ " قالت ذات مرةً.

تأملَ انعكاسها الباهت على الزجاج، ورآها تنظر إليه.

- " نعم. مراقبةُ الحياةِ ليست مخيفةً مثل معيشتها."

داعبتْ شعره ولامست النافذة بأنفها.

" مراقبة الحياة عبر الزجاجِ!" قالت. وبقيـت الكلمـة معه.

ضحكا وقتها كثيرا. حتى كلبهما ابتسم. بالتأكيد لم يكونا قد عرفا، لم يكونا قد قدرا الزمن قدره، ولا المكان.

***

كان نصف نائم في مقعده حين دخلت مـاري الكـوخ راكضةً.

" تعال إلى الخارج،" قالت. " أسمع شيئًا."

وضع كأسه وتبعها. استقبله الليلُ والنجوم والفـضاء. شبح أسود اللون قطع الهواء فوق رأسيهما، بصوتٍ كالنداء

" أليست هذه بومة ؟" همستْ.
" لا أدري،" رد هامسا أيضا. " جائز."

جاء النداء ثانيةً، من وراء الشلال هذه المرة ، هنـاك عند الغابة. صوتٌ حزين، هكذا فكّر سايمون. صوتٌ محزون شجي شق طريقه عبر حوائط دفاعه فتذكّر طفلتهما – طفلتهما تقريبا. كانا سيدعوانها " كيت"، اشتريا ملابس أطفال، ورسما الخطط. بلا جدوى. لم تعد ماري تتحدث عنها بعد ذلك. لـم يصبح أبا، لكن ذلك لم يعد مهما الآن. حتى وقتها، لـم يكـن الأمر مهما جدا. الأشياء كانت مرتبكة، و" كيت" كانت مجرد احتمال. ضاعت منهما. الكوخُ كان احتمالا آخـر، فرصـةً، ربما فرصتهما الأخيرة. لا يريد لتلك الفرصة أن تضيع منهما أيضا.

- " أعتقد أنها كانت بومة." قالت ماري.

نظر إليها، عيناها تتألق فـي ضـوء القمـر. أراد أن يقبلّها. تمنى لو لم يترك الخمر في الكوخ.

- " أعتقد ذلك أيضا." قال.

لمس يدها. فابتسمت.

***

في الثالثة صباحا كف عن محاولة النوم. تسلل خـارج غرفة النوم. صب كأسا آخر من الإسكوتش، ثم عاد إلى مقعده جوار النافذة. كانت ماري أسدلت الستائر. قام ورفعها، ونظر إلى الخارج صوب الحقل المضاء بنور القمر. كانت الـسياج شديدة البياض، بدت وكأنها تطفو في الظلام.

- " هل انتهى كل شيء؟"، سألت قبل أسبوعين. تذكر جهاز التليفزيون القابع في ركنه، يغمغم بأخبار السادسة.
- " ماذا؟ " أجابها ببطء. زلزالٌ آخر في مكان مـا جنوب أمريكا. تظاهر بأنه يستمع.
- " هل انتهى الأمر؟"

لم يكن قادرا على ملاقاة عينيها. رشف من كأسه كمـا يرشف منها الآن.

- " لا أدري،" قال أخيرا

لم تتكلم لبرهة. ثم قالت " أظن ذلك."

من خلف السياج ذات الأوتاد البيضاء لمح شيئًا يقترب، شبحا قاتما يحلّق في الهواء. كان هجوما مباغتًا، قويا بما يكفي لجعل الكوخ يرتعد، وعالي الصوت بما يكفي لجعله ينكفئ إلى الوراء، فاندلق الخمر على السجادة.

تصدعت النافذة طوليا من أعلى إلى أسفل. ثـم سـمع ماري تصيح من غرفة النوم.

- " سايمون ؟ ما هذا ؟ يا إلهي! ماذا فعلت ؟"
- " لا شيء،" رد عليها. " شيء ما خبط النافذة. أنـا ذاهب لأرى."

كان ضوء القمر خافتًا لكنه ساطع. استغرق ثواني قليلة ليحدد موقع الطائر الجريح. كان هناك جوار السياج. راقـدا على جانبه، ينتفض بعنفٍ. ركض سايمون نحو المـدخل ذي الحصى المجروش، وقرفص جواره.

هتفت ماري من باب الكوخ، حبكت قميص نومها ليقيها هواء الليل. وكان شعرها معقوصا لأعلى.
- " ما هذا ؟ " سألت.

احتوى الطائر بيديه ثم انتصب واقفًا. كان الطائر يرتعد بين يديه ولم يكن فيما يبدو واعيا.

" هذه بومة،" قال. " أعتقد أنها بومة من نوعٍ ما."

أحد الجناحين كان متدليا بزاوية عجيبة، العظام تطقطق بوضوح، والرأس لم تكن في موضعها.

- " ماذا بوسعنا أن نفعل؟ " قالت ماري فيما تلحق به عند السياج.

هز سايمون رأسه. " لا أعتقد أن بوسعنا فعل أي شيء، أظن أنها ماتت بالفعل."

- " لكنها تتحرك. انظر إليها. ياللكائن المـسكين !! فقط انظر إليه."

اهتزت البومة بين يدي سايمون. فتحت منقارهـا فـي ارتجافة أخيرة، ثم توقفت الرعشة. اختبر سـايمون النـبض بجسدها، لم يكن واثقا أين يضع إصبعه. لكن شيئًا لـم يكـن هناك على الإطلاق.

- " ماتت." قال

نظر إلى ماري ورأى الدموع بعينيها.

- " لا أظن أنها تألمت طويلا،" قال. " إنها صـفعت النافذة وحسب، ربما طارت مباشرة صوب تلك النافذة اللعينة. أعتقد أنها خبطتها فماتت من فورها."

مدت ماري يدها وداعبت ريش البومة. لا دم هناك. لا قطرة واحدة. نفس الشيء كان مع " كيت". نفس الشيء تماما.

- "إنها جميلة جدا،" قالت ماري. " هل تعتقد أنها هي ما سمعناها تنادي؟ أظنها هي. يا إلهي، يالعار !"

ثمة شيء في نبرة صوتها حرك ثقلا جبارا في صدره. كان عليه أن يزدرد لعابه قبل أن يمكنه الكلام.

- " سوف ندفنها في الصباح،" قال." سنأخذها إلى الغابة في الأسفل هناك، ونبحث عن بقعة جميلة وندفنها سويا."

رفعت ماري بصرها إليه وقالت:

- " نعم، يبدو هذا مناسبا. فلنفعل."

ألقت لمحةً سريعة إلى الكوخ ثانيةً ثم همست: " وربما علينا أن نأتي بأحدهم ليصلح تلك النافذة. إذا قامت عاصفة سوف تطيح بنا."

أومأ سايمون. كانت على حق، لكن شيئًا داخله لا يريد للنافذة أن تُصلح. فقد نال الكثير من مراقبة العالم عبر الزجاج.

- " لا أظن أن عاصفةً سوف تهب." قال.

وقفا للحظة جوار السياج، ينظران خلال ضوء القمر إلى جسد الطائر بين كفي سايمون. تتأرجح ماري قليلا من جانب إلى آخر، كعادتها حين تقوم بتقدير الأشياء والتفكير بها. ثم لمست ذراعه بأطراف أناملها، انحنت إلى الأمام، ثم طبعت قبلة مفاجئةً على وجنته.

- " سوف أضم السريرين إلى بعضهما،" قالت، "أنا مجهدة يا حبيبي. هل تأتي؟"

أزاح خصلة من شعرها فوق وجنتها. " سـآتي خـلال دقيقة." قال.

- " لا تتأخر."

شاهدها تعود إلى الكوخ، رفع يده إلى البقعة التي قبلته فيها. ثم أخذ البومة إلى السيارة وأرقدها بعناية علـى المقعـد الخلفي. - " شكرا لكِ، " قال. طوى جناحها المكسور برقّة، وأراح ريشها الطويل الغزير الناعم. "شكرا لكِ".

أخرج كتابه المفضل من تابلوه السيارة. مجموعة مـن القصص القصيرة لـ هـ. إي. بيتس. وضـعه فـي جيـب بيجامة النوم وأغلق السيارة.

عند مدخل الكوخ وقف في الهواء المـنعش لدقيقـة أو اثنتين، ينظر صوب القمر. ثمة بومة تمر عبره، تنادي نـداء حزينا وخافتا.

استدار. دخل إلى الكوخ. ثم أغلق الباب.

***

موجة كهربائية طفيفة سرتْ بين الجمهـور المحتـشد بمجرد أن دخلتِ المكتبةَ المرأةُ ذات القبعة الحمراء. كما قال مرةً صديقي الطيب "جوزيف هيللر" : شيء ما قد حدث.

ورغم أنها وقفت في الصف مـع الآخـرين انتظـارا لتوقيعي على نسخ "رأس الدودة"، إلا أنها ظلّت تبدو وكأنهـا تقف وحدها منفصلة. نظراتُها ومظهرها ساهمت دون شـك. الوجه تحت تلك القبعة الصادمة وتحت شلال الشعر الأصـفر الكثيف كان جميلا ؛ أما الشخص الكائن تحت الوجه، إن كان ثمة، فقد كان أجمل.

رغم هذا، فلم تكن نظراتها الجميلة ما ضربتني للخلف في مقعدي. ما ضربني أكثر كان الحقيقة المؤكدة بأنها كانـت "المؤمن الحقيقي". كان ذلك مكتوبا على كل أجزائها.

الوساوس تجلب قوتها الخاصة، بؤرتها الخاصة، وكل كاتب ناجح يحدث أن يتعرف عليها قريبا أم بعيـدا . اسـألْ "جون جريشام". اسألْ "ستيفن كينج"1. اسألنْي أنـا. جميعنـا سوف يخبرك بالشيء ذاته. بعد فترةٍ، سيحدث أن تشم رائحة "الإيمان الحقيقي" لحظة دخوله الغرفة. والآنسة الـشابة ذات القبعة الحمراء كانت تجسيدا للإيمان الحقيقي. يمكنك أن ترى ذلك في جلستِها، مشيتها، في طريقة ارتدائها ثيابِها. كان فـي وميض النار في عينيها، في تكور لسانِها حين يتحرك للخارج ليتذوق الهواء.

---

[1] - John Grisham - Stephen King روائيان أمريكيان

اقتربتْ أكثر. أظن أنني سمعتُ الخفقان.
واصلتُ توقيع الكتب، ألقي النكات، أكتب ما يطلبـون مني أن أكتبه : " إلى سوزان والعائلة ... إلى ماري ومايـك ... أطيب الأمنيات ... سيمون كيركبي ..."

حين وصلتْ أخيرا القبعة الحمراء إلى طاولتي توقفـتُ عن التوقيع. وضعتُ قلمي، رفعتُ كأس الماء الخاص بـي، وأخذت رشفة. هي انتظرتْ، راقبتْ. شعرتُ بصدمة مباغتـة حين تلاقت العيون، وأرسلتُ نظرةً محدقة شاخصة.
نسختُها من "رأس الدودة" كانت مشدودة بإحكـام إلـى نهدِها الأيسر، محتضنةً بمحبة أم تحملُ طفلها الرضيع. كنتُ منوما مغناطيسيا بالأفعى الصفراء المطبوعة علـى الغـلاف الخارجي الواقي للمجلد، مأخوذًا بالطريقة التي تتمـاوج بهـا وهي تتحرك على إيقاع تنفسها. أفعى كليوباترا تصعد وتهبط.

- " أنا أعشقُ كتبك يا مستر كيركبي." قالت.

صوتها كان خافتا، مغوِيا ومغريا. مغرٍ مثل كل شيء آخر حولها.
- " صحيح؟"
- " نعم، صدقني، أنا لا أكذب مطلقًا."
- " لا، بالطبع لا. أنا لم ....."
- " خاصةً "رأس الدودة". إنها تعلّمني.
إنها .... تتكلم معي."
" صحيح؟"

" أوه أجل."
" وماذا تقول لكِ؟"

دون تحذير أو مقدمات ركعت على ركبتيهـا. احتـشد الناس رجوعا إلى الخلف. وأنا لو لم أكن مأسورا فـي فـخ مقعدي لفعلتُ مثلهم.

- " من بوسعه أن يفهم مثلي؟ مـن فـضلك دعنـي ...."

أحنتْ رأسها وانتزعـتْ قبعتهـا الحمـراء اللامعـة. وللصدمة، خرجت خصلة شعرها الصفراء معهـا. وجـدتُ نفسي أنظر إلى جمجمةٍ عارية – عارية إلا من جديلة الشيب التي تغطيها.

الديدان. عشرات من الديدان، كل واحدة مثبتة بمسمار لامع مدقوق عميقًا في العظام.
نظرتْ إلى الأعلى وكانت عيناها متوهجتين.

" رأس الدودة." همستُ.
" نعم." قالت، وابتسمت.

***

أحوال المادة[1]

نجلس على الشاطئ سويا، الرجلُ العجوز وأنا، نحدقُ بعيدا صوب البحر. النوارس تحلّق في دوائر فوق رؤوسنا، تصرخُ كما تفعلُ النوارس عادةً. ملاعين كبار، أكبر حجمـا وأعلى صخبا من النوارس التي تحملها ذاكرتـي مـن أيـام العطلات، حين كنت طفلا.

يظللُ العجوز عينيه بيده ويقول إنه يستطيع أن يـرى السفن في البعيد.

أنظر، محاولا ألا أفكّر في "ماري"، محاولا ألا أتـذكّر الماء في شَعرها، في فمِها. سوى أنني أتذكر كل شيء علـى أية حال.

- " أية سفن؟"، أسأله.

"ً المجيء إلى هنا كان غلطةً "، يهتـفُ صـوتٌ فـي رأسي. " يجب أن تبقى بعيدا عن البحر."

أعلم. لكنني لا أستطيع. لم أعد أستطيع أكثر من ذلك.

- "ثلاثٌ منها، مازال أمامها طريـق طويـل حتـى تخرج "، يقول العجوز، "كنتُ بحارا فيما مضى يا "جاك"، لي عين مدربةٌ."

---

[1] - فازت بجائزة "كاتب هذا العام" The Writer of the Year في لندن 2004

أمسح الأفقَ بعيني بحثًا عن سفن العجوز، سوى أنني لا ألمح شيئا.

فيما أبحثُ أسمعه يسعل، يتنخّع ويبصق بعض البلغم على الرمال. مرت خمس دقائق، ربما عشر، منذ فعلَ الشيء نفسه آخر مرة. أرمقُ البصقةَ المختلطة. الآن بها دم أقل.

- " هل ترى ذلك؟" يقول.
- "نعم، إنها إشارةٌ طيبة."

يومئُ موافقًا، يربتُ على فمه، ثم تغوص يده عميقًا في طيات معطفه المبقّع المجعد. يجذب شيئًا من جيبٍ داخلي، يضعه على كفّه، ثم يرفعه عاليا أمامي كي أراه.

- " هل ترى هذا؟" يسأل.

مدى إبصاري ليس قويا لرؤية السفن، وهو أسوأ حتى من أن يرى الأشياء القريبة. ألقي نظرةً جانبية، شيء يشبه القنينة. قنينة زجاجية بالغة الصِغر. أمد يدي، لكن العجوز يغلق كفّه ثم يهز رأسه.

- "انظر وحسب يا "جاك". لا تلمس. مثلما تفعل مع النساء وراء الفاترينات."

اسمي ليس "جاك"، غير أن العجوز ظل يناديني هكذا منذ التقينا، كل شيء كان منذ ساعة. ليس مهما بم يناديني.

"جاك" سوف تفي بالغرض. إنه اسم أفضل من كثير من معظم الأسماء، اسم أفضل مما أستحق.

يده تنفتح لي ببطء، مثـل وردة متـسخة مـن اللحـم البشري، القنينةُ تلمع في المركز مثل الخِباء[1].

أتزحزح، مجرجرا، قدمي على لـوح الخـشب الـذي نتقاسمه حتى صرتُ لصيقا به، ساقي اليسرى ضغطت بقـوة على ساقه اليمنى، إحدى طيات معطفه بيننا. رائحته الكريهـة تجعل تنفسي سريعا وغير عميق، لكنني لم أعد مميـزا كمـا تعودت أن أكون. كل من أعرفهم هذه الأيام ينشرون رائحـةً كريهة. أنا أيضا لي رائحة كريهة. كما تقول الأغنية، "بالفعل لم يعد أي شيء يهم".

- "هل تراها؟"

شفتاه متورمتان بسبب الركلة التي أخذها. صوته مثـل نعيق الغراب.

أنحني تجاهه، أنفي على بعد ست بوصات تقريبا مـن رأسه.

القنينة تشبه الأخرى تماما. الأخـرى التـي سـرقها الأولاد. ملأى بسائل أصفر داكن.

" نعم، أراها،" قلتُ. " ماذا بها؟ ويسكي؟"

---

[1] ـ الكربلة، عضو التأنيث في الزهرة

أبدو ممتلئا بالأمل، يقهقه العجوز بصوت يشبه صوت الدجاج.

- "ويسكي؟، لا. كان فيما مضى. لكنه لم يعد كذلك."

أهز رأسي. لا أحب أن أبدو محبطًا، لكنني كنت كذلك، العجوز لاحظ ذاك.

- " ماذا عن الأخرى؟" قلتُ.

يسعل ويبصق ثانيةً. لا دماء تقريبا هناك هذه المرة.

- " كلا. لا ويسكي هناك أيضا. الأوغاد الـصغار. اللصوص."

الولدان اللذان قفزا عليه وخطفا القنينة الأخـرى ذهبـا بعيدا جدا. لا يمكن أن يكونا قد تخطيا ثلاثة عشر أو أربعـة عشر عاما بحال. لم يرياني ناعسا وراء كثبان الرمال، أحلـم بالأمواج، لم يعرفا أنني هناك إلى أن وجدا يدي فوقهما.

ماشيا عبر الرمال، ليس بسرعة، ولا ببطء، كنتُ أفكر في "ماري". صوت البحر يستحـضرها مجـددا، يـستدعي الصور. هذا هو سبب انجذابي للشواطئ على هذا النحو. أنـا بحاجة لأن أراها من جديد فوق كرسي البحـر ذاك، بقبعتهـا الوردية على رأسها، وسلّتها القش عند قدمها. الجانب السلبي في الأمر أنني أراها أيضا في المياه، مفتوحة الذراعين، يداها

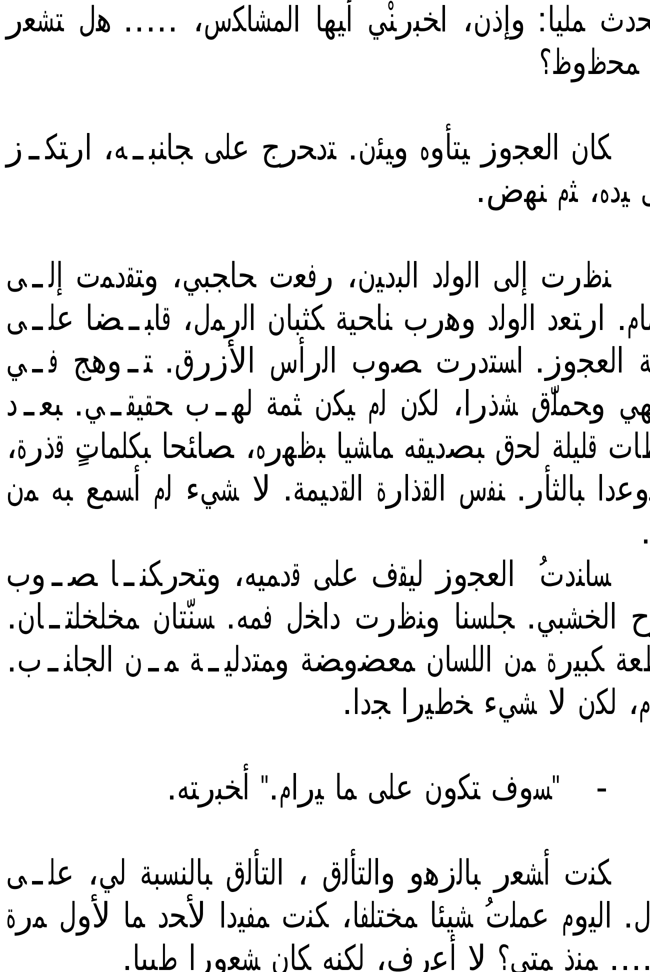
مرتخيتان على معصميها، شعرها طافٍ حـول عنقهـا مثـل "أوفيليا"1، الغارقة التعسة.

الولد الأصغر كان أقرب – نموذج قبيح برأس مطلـي بالأزرق وخاتم معلّق من أنفه. كان بالفعل قد ركّز وعقد العزم على وجه العجوز، أرجع قدمه ذات الحذاء الطويل للـوراء، تأهبا لتصفية الرجل بركلةٍ. قبضتُ عليه من الخلف، أمـسكت بالخاتم وجذبته عنوة ممزقا أنفه. صرخ بحدة عاليا مثل خنزير صغير، كور كفيه صانعا بهما كأسا يجمع دمه النـازف مـن الأنف.

الصبي الآخر كان حوضا من الشحم، وكان وجهه قـد غدا رخوا من الرعب.
أمسكت بالاثنين من شعرهما وصفقت رأسـيهما معـا بعنف. ليس بأقصى قوتي، لكن بما يكفي من قسوة.

حين تركتهما يمضيان استطعت أن أخمـن أن الـرأس الأزرق لن يدع الأمر يمر، ورغم أنني لم أعد كما كنت مـن قبل، إلا أنني أستطيع دوما أن أسـتخدم مظهـري الخـاص ونظرتي عند اللزوم. اتخذت شكلَ الأخبار السيئة، ثم حررت سكيني، جعلتها تلمع في ضوء الشمس، وابتسمت بعذوبة لهما. نحن الآن في خندق التأمل والصمت، داخل اللحظـة. لحظـة القرار. في لحظات كهذه، يحضر "كلنت إيستوود"2 في رأسي

[1] - حبيبة هاملت في مسرحية شكسبير (ت)
[2] - Clint Eastwood بطل سينمائي يُعتبر أيقونة الرجولة والقوة في السينما الأمريكية، وسُميّ " الأسطورة الحيّة" (ت)



ويتحدث مليا: وإذن، اخبرنْي أيها المشاكس، ..... هل تشعر أنك محظوظ؟

كان العجوز يتأوه ويئن. تدحرج على جانبه، ارتكز على يده، ثم نهض.

نظرت إلى الولد البدين، رفعت حاجبي، وتقدمت إلى الأمام. ارتعد الولد وهرب ناحية كثبان الرمل، قابضا على قنينة العجوز. استدرت صوب الرأس الأزرق. توهج في وجهي وحملّق شذرا، لكن لم يكن ثمة لهب حقيقي. بعد لحظات قليلة لحق بصديقه ماشيا بظهره، صائحا بكلماتٍ قذرة، ومتوعدا بالثأر. نفس القذارة القديمة. لا شيء لم أسمع به من قبل.

ساندتُ العجوز ليقف على قدميه، وتحركنا صوب اللوح الخشبي. جلسنا ونظرت داخل فمه. سنّتان مخلخلتان. وقطعة كبيرة من اللسان معضوضة ومتدلية من الجانب. مؤلم، لكن لا شيء خطيرا جدا.

- "سوف تكون على ما يرام." أخبرته.

كنت أشعر بالزهو والتألق ، التألق بالنسبة لي، على الأقل. اليوم عملتُ شيئا مختلفا، كنت مفيدا لأحد ما لأول مرة منذ.... منذ متى؟ لا أعرف، لكنه كان شعورا طيبا.

كانت الشمس تميل، تغطـس ناحيـة البحـر الأزرق الهادئ. العجوز وأنا جلسنا على لوحنا الخشبي مثل صـديقين حميمين، نتقاسم مشهد احتضار اليوم.

عندئذ أخرج قنينته....

- " ويسكي،" قالها ضاحكا في سره.

يده الخاوية تمسح على فمه من جديد، برهافـة علـى شفته السفلى المتورمة.

" لا، ما تراه هنا يا جاك، هو كل ما تبقـى لـي مـن امرأتي العجوز."

دق القنينة الصغيرة بإصبعه الأصغر. الظفر مـشقوق في موضعين، وقذر بشكل مدهش.

- " امرأتك العجوز؟" سألت.

يومئُ موافقا ويقول:" ساندي."

- " زوجتك؟"

يصدر شخيرا.

- " زوجة؟ اللعنة، لا. لم يكن لدينا أوراق. لكنهـا كانت أكثر من زوجة بالنسبة لي، أكثـر مـن المـرأة التـي تزوجتها. عشنا سويا لعشرين عاما، ساندي وأنا."

- " هذا زمن طيب،" قلتُ. " زمن طويل طيب."

العجوز لا يقولُ شيئًا. أحدقُ في البعيد صوب المـاء، والآن غدا بوسعي أن أرى سفنه، ثلاث سفن غامضة ملتحفـة بالضباب حيث تلتقي السماء بالبحر.

- " وإذن، ماذا حدث لها؟"

ينظر إلي ويحرك رأسه، وكأنه لا يستطيع أن يـصدق أنني هكذا غبي.

- "إنها ماتت، ذهبت وماتت عني." يقذف القنينة من كفه ويلتقطها بين سبابته وإبهامه. " وهذه .... هذه هي كل ما تبقى لي منها."

نجلس هناك، هو وأنا، كل منا مثبتٌ بقنينته الخاصـة، كل منا يفكر في أفكاره الخاصة. أنـا أفكـر فـي "مـاري"، وأتساءل عن "ساندي". ربما في حياة أخرى، في كونٍ آخـر، كان بوسعنا نحن الأربعة أن نكون أصدقاء. ربما كان بوسعنا أن نحيا حياةً طبيعية. وظائف، حفلات عشاء، أطفال.

" وإذن، ماذا بها؟ أسأله. "مازالت تبدو لي لطيفةَ الشكل كأقرب ما تكون إلى الويسكي."

العجوز يرفع القنينة إلى شفتيه ويقبلها. يرفعهـا إلـى السماء فترسل الشمس المنخفضة عبر القنينة سهم حربةٍ حادةٍ من ضوء الكهرمان.

- " ما تنظر إليه هنا يا "جاك" هو قنينةٌ بول. بـول حبيبتي "ساندي". بوسعك أن تقول :ماء "ساندي" الطيب."

أحدقُ فيه، أتساءل إن كان جادا، لكن شـيئًا مـا فـي طريقة ولعه وتعلّقه بتلك القنينة جعلني أقتنع أنه ما يقوله هـو الحقيقة.

- " بولها؟"

أومأ.

أومئُ أنا أيضا. قد تأخذ كل أنواع المعـاني، أقـولُ لنفسي. لو كان ثمة شخص يعلم، سأعلم.

- " منذ متى تحتفظ بها؟ متى ماتت؟"
- " 11 أغسطس 1990، الساعة الثالثـة والربـع عصرا. يوم حار، مثل اليوم."

أركز تفكيري لثانية أو اثنتين، أعـد علـى أصـابعي للخلف.

- " 11 أغسطس؟"

يومئُ من جديد.

- " في أي يومٍ نحن الآن؟"
- " 11 أغسطس،" أجاب. " عيد وفاة "ساندي". هـل لديك ساعة يد؟"

لا أعرف ماذا أقول. أعرف كم أبدو – قبيحا – وقد تسببتُ في إيلام حصتي الخاصة من البشر، لكنني لست خبيرا فيما يتعلق بأمور الموت. حينما أرادت والدة "ماري" التحدثَ معي، التحدث حول ما جرى، حينما أرادت أن يجيب أحد على أسئلتها، لم أستطع أن أفعل ذلك. لم أستطع أن أساعدها. قلتُ لوالدة "ماري" إنني آسف1، ثم مضيت.

الآن، أنا أقول للرجل العجوز الكلام ذاته. " أنا آسف،" قلتُ له، " وكلا، ليست لدي ساعة يد، لكن انظر، الشمس منخفضة عند خط الأفق. إنها ربما الثامنة، أو التاسعة.

العجوز لا يقولُ أية كلمة، وظللنا نجلس في الصمت لبرهة.

سمعتُ صوتًا يشبه الركض والشجار من ورائي ويدور حولي، أفكر أن الرأس الأزرق والولد البدين ربما عادا وسط شلة من الصبية بعد كل ما جرى، لكنه لم يكن سوى طائر يركل الرملَ لأعلى.

ننصتُ إلى الأمواج المتكسرة، وإلى صرخات النوارس في السماء. الطائر وراءنا يتوقّف عن الضجيج والركض، ثم يطير بعيدا.

أخيرا، أسأله.

- "إذن كيف حدث أن حملتَ في جيبك قنينةَ بول عمرها ثلاثة عشر عاما لتتجول بها أينما ذهبت؟"

ينظر إلي ثم يهز رأسه مجددا.

- " ماذا يعرفُ طفلٌ مثلك؟ لن تفهم."

---

[1] - [1] - I'm sorry تعبير بالإنجليزية يفيد المواساة.

أهز كتفي. إذا ما أغلقـتُ عينـي الآن، سـوف أرى "ماري" في المياه. أفكّر في أن أعرض على العجوز تذكاري الخاص: خصلة من شعرها. ربما كي أريه أن لـدينا أشـياء مشتركة.

- " جربني." قلتُ له.

يحرك لسانَه دائريا داخل فمه، محاولا عض شيء ما. وفجأةً يضع نصف يده بالداخل، يأخذ شهيقًا عميقًا، ثـم يـشد بغتةً. عندما جذب يده إلى الخارج، كانت تحمل أحد أضراسه المخلخلة. ثم يبصق على التراب. لون أحمر من جديد.

- " الأوغاد الصغار،" يقـول. " مـا الـذي جـرى للأطفال هذه الأيام؟ لم يعد لديهم احترام."

- " أليست تؤلم؟"

مرةً أخرى، النظرة البلهاء.

- "تؤلم؟ بالطبع تؤلم. إنها تؤلم مثل الجحيم. لكن الألم لا شيء، ألم تتعلم ذلك بعد يا "جاك"؟ الألم كله في الـرأس[1]، مجرد كيمياء وكهرباء، مثل كل شيء آخر يجعلنا نرتعد."

[1] - يقصد في التفكير

أتذّكر شيئا اعتادت "ماري" أن تقوله عن الناس. "إنهـم ذاخرون بالحكايا، الحكايا المدهشة. حتى هؤلاء الـذين يبـدو عليهم أن شيئا لم يحدث لهم أبدا."

أنا، لم يكن لدي أبدا الوقت للإنسانيات، لكن ثمـة شيئا ما حول هذا الرجل العجوز. حتى أنا كـان بوسـعي أن أرى ذلك.

- " ما اسمك؟" سألته.

يهز رأسه للمرة الثالثة.

- " الأسماء مثل الألم يا "جاك"، لا تساوي شيئا. إلا حين تموت بالطبع."

يبتسم لي ردا لابتسامتي، أسنانه حمراء بالدم.

- " وإذن.... أتحب أن تسمع عن "ساندي"، أم لا؟"

أومئُ.

يضع ضرسه على راحة كفه، بمحاذاة القنينة الصغيرة الملأى ببول الميتة "ساندي"، ثم يضمهما لصق بعضيهما.

- " اجتمع شملُهما معا،" يقول فيما يواجهني بابتسامةٍ عريضة.

ألاحظ للمرة الأولى أن عينيه ليستا متماثلتين. اليسرى بنية، اليمنى خضراء. تبدوان مجهدتين وثقيلتين، لكنهما مازالتا حيتين.

- " حسنًا يا جاك. الشيء الذي لابد أن تفهمه عـن "ساندي" هو أنها عاشت في "السوائل". ولدتْ في المطر جوار البحر، في العراء تماما على أحد الشواطئ. هكذا أخبرتني هي على أية حال. كل حياتها كانت لها علاقة ما بالسوائل. "أنـا إنسان سائل، أنا الحالة الثانية للمادة[1]." هكذا كانت تقول.

أتذكر دروس الفيزياء الأولى. المعلم الذي كانت لديه "تفاحة آدم" بحجم بيضة دجاجة. مساعدة المعمل الـشابة ذات الصدر الضخم، كان الأولاد يتأملونها وهـي تتحـرك عبـر المعمل.

- " المواد الصلبة، السوائل، الغازات." أقول.
- " لقد فهمتَ الآن يا جاك. الآن أنت وأنـا، نحـن اثنان من "المواد الصلبة" إذا أتيح لنا أن نرى. الحالة الأولـى للمادة، كلانا. كل من له عينان بوسعه أن يرى ذلك. لكن ليس حبيبتي "ساندي". إنها حتى كانت تتحرك مثل موجة. " ساندي" لم يكن لها "مشية" – كان لها "تدفق"."

فهمت ماذا كان يعني. عرفت فيما مضى نساء قليلات مثل ذلك. يعود السبب عند بعضهن إلى التنورات الطويلـة أو الكعوب العالية، لكن القليلات منهن "يتماوجن ويتدفقن" حتـى وهن عاريات. "ماري" كانت واحدة من هؤلاء. كنـت أراهـا

[1] ـ في علم الفيزياء أحوال المادة ثلاثة : الحالة الصلبة- الحالة السائلة – الحالة الغازية (ت)

تتماوج من المطبخ إلى غرفة النوم، ثم تعود تتـدفق صـوب المطبخ.

الرجل العجوز يواصل الحديث.

- "ساندي، كان لديها حوض استحمام كبير وقـديم. كانت ترقد فيه لساعات، بشرتها تجعدت كلها. تمكـث هنـاك طيلة اليوم وطيلة الليل إن استطاعت. وكانـت تـصب تلـك المستحضرات واللوسيونات. يا ا ، كانت تنفق نصف دخلـي على هذه المستحضرات النسائية. لكنها كانت تأتي إلى الفراش ناعمةً، والطيب يفوح منها إلى درجة لا يمكن أن تتخيلها."

كان مخطئًا. أستطيع أن أتخيل، لكننـي لا أحتـاج أن أفعل. فأنا أتذكّر.

أمد يدي إلى جيبي، أخرج صندوقي الصغير، أعرض عليه خصلة شعر ماري. يتفرس فيها، يلمسها بإصبعٍ قذر، ثم يومئ.

- " رحلت هي الأخرى؟"

شخص غريب هذا الرجل العجوز. أنا سعيد أن كـان بوسعي مساعدته.

أرقب الشمس تغطس أكثر قليلا.

- " نعم، "ماري". كانت فتاة من نوع الحالة الثانيـة أيضا."

أشعر بالغصة التي تنتاب أعماقي، حنين لم أشعر بـه منذ سنوات. يوما ما في القريب سوف أحاول أن أعود إلـى البيت ثانية. لأرى إن كان ثمة من مازال يذكرني.

لم نتكلم لبرهة.

فجأة، يقف العجوز ويمشي صوب البحر. سفنه قريبـة الآن. ألحق به، خصلة شعر ماري مازالت معي.

يقبل قنينة ساندي، يمسكها لدقيقة أخرى، ثم يقذف بهـا في الماء.

- " جئتُ هنا لأقذفهما الاثنتين في البحـر،" يقـول." مازالت .... ثمة واحدة يجب أن تُرمى."

ينظر إلى شَعر "ماري" ويرفع حاجبيه، لكن الوقت ليس مناسبا لي، ليس بعد. أُخرج صندوقي، أضع داخله الخـصلة، ثم أعيد الصندوق إلى جيبي.

- " ربما يوما ما." أقول له.

الرجل العجوز يومئُ.

- " لقد تأخر الوقت، هل لديك مكان ننام فيه؟"

شاحنتي تقف فيما وراء الكثبان.

" نعم،" أجيبه.

النوارس تزعق فوق رؤوسنا، والبحر يجيش بعنف إلى الأمام وإلى الخلف، محركا جزيئات المادة.

***

قنــصُ الياسَمــين*

الشابة الصامتةُ، التي ترقد في السرير رقم (6) تُدعى " ياسمين" . هكذا ُأدعى أنا أيضا. سوى أن الأسـماء محـض نعوتٍ قشرية، تطفو كالزبدِ، متأرجحةً فوق سطح الماء. غير أن أمورا أكثر عمقًا كنا نتقاسمها. تلك الأمور التـي جعلتْهـا ترتاح إلي وحدي، والتي جعلتني لا أقضي يوم عطلتي إلاّ إلى جوارها.

كان اليوم صعبا. عنبر المستشفى يئن بالمرضى، الأمر الذي جعلَ نهاري كله مشحونًا بالعمل : تفريغُ السلال جـوار الأسرة، ملء نماذجِ التقـارير الخاصـةِ بالمرضـى، تبـديلُ الضماداتِ و تغيير الملاءات . و أخيرا، فـي نهايـةِ اليـومِ تقريبا، تمكنتُ من اقتناص بضعِ دقائقَ لإعـدادِ فنجـانٍ مـن القهوة، أخذتُه إلى حيث المقعدِ البلاستيكي برتقالي اللون جوار سريرها. أشعر بالامتنان لتلك الدقائق التي أريح فيها قـدمي، وأنعم فيها بصحبتها من جديد.

- " مرحبا يا ياسمين."

---

* - فازت بجائزة الكومنولث Commonwealth Competition عنوان القصة *Fishing for Jasmine* وترجمتي للعنوان بتصرف لدواعي فنيّة (ت)

أقولها، وكأنني أرحب بنفسي. إنها لا ترد. "ياسـمين" لا ترد مطلقًا، إنها مكتئبةٌ حتى العمق .

كانت " ياسمين"، مثلي تماما، إحدى الضحايا التـي دمرها البحر.أنا أيضا كنتُ ابنةً لأحد الصيادين، من أجل هذا، أُخرج الكلماتِ من فمي مثل طُعمٍ في شـص سـنارة صـيد، أصب في أذنيها الكلماتِ، ثم أتخيلُها تغطس في عمق المـاءِ الباردِ داكن الزرقة، عميقا بالأسفل حيث ترقـد هـي علـى الأرجح.

- " لدي قليل من الوقت اليوم."

أخبرها بينما أمسح بأناملي على شـعرها. مـع فتـاةٍ كهذه، يكون من الصعبِ دائما ألا تلمسها. كانـت "ياسـمين" شيئا نادرا، امرأة شديدة الجمال. من أجل هذا، كـان النـاس يختلقون الأسباب من أجل المرور في فـضائِها . أضـبطهم يتأملونها، يشربونها داخلهـم، يمـضغون تفاصـيلها. إنهـم "باراكودا "1، جميعهم.

الممرضون الـذين يـدفعون الكراسـي المتحركـةَ، يبطئون، حد الزحف، حين يقتربون مـن سـريرها. الـزوار المتجولون ذوو العيون الجسورةِ الجشعة. الأطبـاء، الـذين يتوقفون فجأةً يسحبون الستارة الشفيفة ثم يعيدون اختبار أشياءٍ ليست في حاجةٍ إلى اختبار .

1 نوع من الأسماك الضخمة (ت)

الجمالُ الباهر هو شيء لم نتقاسمه سويا، و أنا غيـر سعيدةٌ بذلك.

- " والدك ربما يكون هنا حالا،" قلتُ لها ." لقد قـالَ الأسبوع الماضي أنه سوف يأتي ."

لم تقل " ياسمين" شيئًا. فقط ارتجـفَ جفـن عينهـا اليسرى، أو هكذا خُيلَ إلي.

مر شهران منذ وقعت تلك الحادثة فوق قاربِ الـصيدِ الخاص بأبيها. منذ سقوطِها إلى البحر، لتغور في عمق الماء، ثم تتشابك أطرافُها في خيوط الشبك. مر وقت قبل أن يكتشفَ الأمر أحد، ثم بدأ الزعر والفزع. شحبها أبوهـا إلـى مـتن القارب، ثم أبحر صوب القرية . حين وصل أخيرا، حملَ إلى الشاطئ ما كان يظنّه جثمان ابنته .

- " ياسمين !" . أهمس . أريدها أن تلتقطَ اسـمينا مثل طُعم السمكة. أريدها أن تبتلعه.

لحسن الطالع جاء طبيب شـاب إلـى قـريتهم ذلـك الصباح، ليزور أقارب له بالجوار. كان هو من استعاد الفتـاةَ الغريقةَ من حافةِ الموت، هو من أخبرني بقصتها : " فتحـتْ عينيها، نظرت إلى أبيها وقالت كلمةً واحدة، ثم غرقـت مـن جديد، في الغيبوبة هذه المرة."

" باراكودا ". هذا ما قالته " ياسمين".

حين يزورها أبوها، يمسح على شعرها، يقبلُ وجنتها، ثم يجلس على المقعد البلاستيكي برتقالي اللون جوار سريرها، آخذًا كفّها بين راحتيه. مثلما أبي، لديه الكف ذاتُهـا، البنيـة الضخمة التي خشّنتها الحياة، كف صياد. هو أيضا تفوح منه رائحةُ البحر، يتظاهر بأنه رجل بسيط وطيب !

" ياسمين". نشترك في أشياء كثيرة، نحن تقريبا كيـان واحد.

أتذكّر تلك الصباحاتِ الباكرة، شـعري يمـس كـي أستيقظ، يرفعني أبي من سريري نصفَ نائمةٍ، يحملني بـين ذراعيه، ثم يلقيني فوق قاربه.

صوتَه خشن في أذني، يداه خشنتان فوق جلـدي، لـم أرغب في الذهاب أبدا، لكنني كنتُ مجرد طفلةٍ، وكان يفعل ما يريد.

أتذكّر الماء المالح، الـشمس الحارقـة، وأميتـنكمش وتتضاءل فوق الشاطئ. أتذكّر ألواح القاربِ الخشبي وصخرةَ التثبيت، أتذكر صرخاتِ النوارس.

" ياسمين، لديك حياةٌ في داخلك، ألا تسمعينها تنادي؟"

لا شيء.

يصفقُ باب العنبر بشدة، ألمح والد " ياسمين" يمـشي صوبنا، حاملا الزهورِ، ويبتسم لي.

حتى في الموت، الطفلةُ الكامنةُ داخلي تـرى ابتـسامةَ أبي، " ياسمين" كذلك، سوف تنال ابتسامة هذا الرجل. أعرف ذلك.

يقفُ جوار سريرها، يمسح على شعرها، شيء يمـور عميقًا في داخلي .

أراقب جفن ياسمين وأنتظر ارتجافتها.

***

أغنية من أجل "جيني"*

كان "توم" يتجه صوب غرفةِ المعيشة، بحرص رجـلٍ عجوز يحملُ صينيةَ شاي، حين سمع "جيني" تـتكلم. توقـف فجأةً حد أن صحن البسكويت وفنجاني الشاي جميعها انزلقت إلى الأمام واصطدمت بحاجز الصينية. بعض الـشاي تنـاثر داخل صحن الفنجان، فوجد نفسه للحظة يحملقُ في الفوضى، قبل أن يرفع رأسه لينظر، عبر الغرفة، إلى زوجته.

كانت "جيني" تجلس على الأريكة ذات المقعدين، تماما على الحال التي تركها عليها، لكنه لمح الاختلاف واضحا في عينيها. كانتا منتبهتين من جديد، مشتعلتين بـذكاءٍ مـشوش، وكانت تنظر نحوه مباشرةً، بدت حاضرةً على الحال التي لـم تكنْها منذ شهور. لقد حدث الأمر مجددا. بينما كان في المطبخ يعد الشاي، حدث الأمر مجددا.

فتح فمه ليتكلم، لكن كلمةً لم تخرج. رأى "جيني" تمسح على تنورتها برقّة، ولاحظ ومضةً زرقاء على الأرض جوار قدمها اليسرى. إحدى فردتي قرطها. أصلح حنجرته وحـاول من جديد.

- " جيني؟ "

* - جائزة الكتّاب: Writers Express Competition

برقت عيناها وركزت، ثم رمت نظرةً إلى الصينية.

- " لقد سكبتَ الشاي يا "توم"."

نظر إلى الأسفل مرة أخرى، ثم إلى الأعلى، أحس بشفتيه تتناضلان من أجل ابتسامة ما.

- " نعم فعلتُ يا حبيبتي. هكذا فعلتُ. وأنتِ أسقطتِ إحدى دلايتيك."

عبر الغرفة، ووضع الصينية المرتبكة ذات الصليل فوق مائدة القهوة، ثم انحنى ليلتقط قِرطَها. طقطقتْ مفاصلُ فخذه عاليا وهو يعتدل، وكذلك حين جلس جوارها، غير إنه لم يلحظ تقريبا. "خُذْ الأمر بهدوء"، هكذا قال لنفسه. خذ الأمور بهدوءٍ وبطءٍ وثبات.
اختطفتْ "جيني" القرطَ من راحته.

- " لقد انخلعت،" قالت فيما تريح يدها الأخرى فوق رسغه. كاد ينسي كم كان صوتها جميلا، كم كانت لمستُها رقيقة. بعد كل تلك الشهور.
- "هل حدث ذلك الآن؟ هذا لا يمكن أن يكون، أليس كذلك؟ لقد كلفني الأمر دهورا طويلة هذا الصباح كي أجعلك تبدين على هذا النحو الجيد، وها أنت تفسدين كلّ شيء، دعوني أضرب ظهرها عقابا لها، إيه؟"



عقص شعر "جيني" خلف أذنها، وشبك قرطها في مكانه من جديد. ابتسمت له وبدت وكأنها ستتكلم، سوى أن جبينها ارتخى وابتسامتها تلاشت. رآها فارغة وغائبةً في البعيد مجددا، رأى يدها ترتفع في الهواء وتبقى هناك، تحوم في حيرة. ثم فقاعة من اللعاب تنتفخ فوق شفتها السفلى. سحب "توم" منديلا نظيفا من جيبه ومسحها.

- "جيني؟" قالَ بهدوء. "جيني حبيبتي، هل تسمعينني؟"

سيلٌ من قطرات العرق تشكلّت فوق فوديه كحبات خرز وهو ينتظر إجابتها. شعر بالدماء تخفق في عنقه. مغلقًا عينيه، أخذ يصلي من أجل أن يعود الضوء الواهن إلى عينيها من جديد.

كان لابد أن يلحظ هذا في الصباح، حين كان يساعدها كي ترتدي ملابسها. كان من الواضح وقتها أنها أفضل من المعتاد، يكفي أنها اختارت فستانا بعينه من بين العشرين المعلّقة في خزانتها. كان مسرورا، لسبب ثانوي هو أن ذاك الفستان كان المفضل لديه، البيج ذو الوردات الزرقاء الخفيفة، أما السبب الرئيسي فلأنها بدت وكأنها تذكرت أنه المفضل لديه. كما أن عملية إدخالها فيه كانت أقل صعوبة من المعتاد. مجرد عرجة واحدة حين أصرت على إدخال قدمها اليمنى في حذائها الأيسر، ويسراها في الأيمن. بالطبع لم تستطع أن تسير هكذا. انكفأت على السرير واستطاع "توم" أن يبدلهما، باستثناء ذلك لا عقبات على الإطلاق.

فتح عينيه، ورمق قدميها في الأسفل، وخاف أن ينظر إلى الأعلى، لم يرد أن يلتقي بذلك الخواء المفـرغ الرهيـب. كان يفكر أن هذا الحذاء اللطيف، حذاء محظوظ. كانت تلبسه حين حدث ذلك الأمر آخر مرة.

- " توم ؟"

ارتجفت رأسه لأعلى. لقد عادت، النور فـي عينيهـا مرتعشٌ وغير واثقٍ مثل لهب شمعة في نسمة ليل، لكنه كـان هناك رغم هذا. ركزت بصرها عليه، طوحت يـدها لأسـفل وأراحتها من جديد فوق ذراعه.

- "الصورة يا توم، أريد صورتهم."
- " أي صورةٍ يـا طفلتـي المدللـة؟ أي صـورةٍ تقصدين؟"

نتشتْ كم قميصه وهزته، كما كانت تفعل أحيانـا فـي الأيام القديمة حين كان يبدو غبيا وغير متجاوب علـى وجـه التحديد.

- " أنت تعلم! صورتهم وهم يرقصون! يرقصون من أجل جيني المسكينة!"

عرفَها، عرف الصورة فورا.

- " إنها في الطابق الأعلى يا طفلتـي. فـي أحـد ألبوماتك." لم يجل بخاطره أن عليه أن يتركها.

- " هل تريدينني أن أحضرها لك؟"
- " نعم. الصورة."

انتصب مترددا على غير إرادته.

- " فقط ابقي كما أنتِ الآن، سأعود حالا."

كانت أمتعتها محزمة، مثل عتابٍ صامتٍ أنيق، ينتظر جوار الباب الأمامي. يحاول ألا ينظر إليها، بدلا من ذلك راح يحدق في الساعة المثبتة على الحائط في قاعدة الـسلم: 4:10 بعد الظهر. موعد "ديفيد" في الخامسة تماما. خمسون دقيقـة إذن هي كل ما تبقى. دع أو خذْ الأمر.

ترك باب غرفة المعيشة مفتوحا كي يتمكن من رؤيـة "جيني". أما هي فقد التفتتْ بجسدها كي تنظر إليـه، صـانعةً بيديها تلويحات تستحثه، بنفاد صبر، على المضي. ابتسم لها، وبدأ رحلة الصعود الطويلة إلى غرفـة نومهمـا، مفاصـله تصطك مع كل خطوة.

سوف يأتي "ديفيد" في موعده بالطبع. اعتاد أن يكـون دقيقًا في مواعيده، حتى حين كان صبيا. لم يكـن هنـاك داعٍ للقلق من أن يفوته باص المدرسة، وحين كان أكبر سنا، لـم يخلف وعده إذا قال إنه سيهتم بالحديقة أو سيأخذهما للخروج في نزهة. طبيعته المتزنة والعملية أفادته كثيرا. كانـا دائمـا فخورين بأسلوب تناوله لأعماله وجعلها تسير فـي طريقهـا، حتى في أوقات الركود. وكان ديفيد على حـق بـالطبع. دار

"شجرة الأرز" للمسنّين كانت الحل العملي الوحيد. جادل "توم" ضد ذلك طويلا وبصوتٍ عالٍ، لكن "ديفيد" كان مصرا علـى رأيه.

- " أبي، أنت نفسك لست على ما يرام، وأمي سوف تتدهور حالها، لن تتحسن أبدا. إنه الخيار الأصوب بلا شـك. بوسعك زيارتها كلما أحببت. ولا داعي للقلق بشأن الرسـوم. سوف أدبر الأمر كله."

لقد صمد. صمد وقاوم لأسابيع. إلى أن كانت الليلة التي صحا فيها على صوت الأجراس ليجد نفسه وحيدا في الفراش. لن ينسى مطلقا تلك القفزة المسعورة صوب الباب الأمـامي(مفصل فخذه ظل يصرخ بسببها فيما بعد). مشهد "جيني" وهي تمشي في الحديقة لا ترتدي سوى معطف السيد "داوسـون"، والعلامات الدامية التي تركتها قدماها على أرضية المـدخل، ومشهد ارتجاف جسدها في البرد – كان قلبـه علـى وشـك الانخلاع.

"ديفيد" على حق. إنه الحل العملي والأنسب فعله.

رغم ذلك، حين وصل "توم" إلى أعلى درجات الـدرج وراح يترنح صوب غرفة النوم، وجد نفـسه يتمنـى للمـرة الأولى في حياته أن يتأخر ابنه عن موعده.

ألبومات الصور – "جيني" ملأت العشرات منها خـلال السنوات- كانت مكدسة فوق الرف أسـفل النافـذة. جميعهـا

مؤرخةٌ بخطها الأنيق والمنتظم الذي كان لديها دوما. لم يأخذ "توم" الكثير من الوقت ليجد الألبوم الذي يريد. فتحه وبدأ يقلّب صفحاته. الصورة التي أرادتها "جيني" كانت فـي منتـصف الألبوم تقريبا. سحبها من غلافها البلاستيكي وأخـذ طريـق العودة للأسفل. كانت الرابعة وخمس عشرة دقيقة.

شاهدته "جيني" يعبر الغرفة، ثمة تعبير على وجهها لم يستطع قراءته. جلس جوارها وعرض عليها الصورة.

- " هذه يا جين؟"

أومأتْ، أخذتها منه وقبضت عليها بأصابع مرتعـشة. حين نظرت إلى الأعلى كانت عيناها مبتلّتين بالدموع.

- " أوه يا توم! انظر! كانوا صغارا جـدا! صـغارا جدا!"
- " أعلم يا حبيبتي، أعلم."

كان حفلَ عشية الكريسماس، هو يتذكّر. فريق "أخـوة إلى الأبد" في الصورة يؤدون أغنية " جيني البائـسة". كانـت كلما أُذيعت في الراديو تغني "جيني" معها، وتريد أن ترقص. "توم" كان يرقص لإسعادها، ويشعر بنفسه قويا واثقًا من نفسه.

- " صغار جدا."

طوقها بذراعه، وجلسا ينظران إلى نفسيهما، يرقـصان "الروك آند رول"1، بين بالونات الجليد والقبعـات الورقيـة، يضحكان عاليا للمصور الذي طال نسيانه. برقـةٍ، وبـصوتٍ أعلى بالكاد من همسة، شرعت "جيني" في الغناء.

- " حسنًا، جيني لديها أخٌ يتعقبني أينما ذهبت، أبوها يريد أن يرسلني خارج البلاد في قطار،
أرجو أن أظل هناك حتى تخرج "جيني" من الـسجن، ...
جيني البائسة ...."

أرخت رأسها على صدر "توم" الـذي أخـذ يهدهـدها بحنو. حين تكلمت ثانية كانت مجرد همهمـةٍ خافتـة داخـل قميصه.

- " تلك الأشياء. تلك الحقائب جوار الباب. هل هي أغراضها2 يا توم؟"

خرجت كلماتُه متكسرة وغير واضحة.

- " نعم يا حبيبتي."
أحس أنها أومأت.

[1] Rock and Roll رقصة غربية (ت)
[2] تقصد جيني، التي في الأغنية وفي ذات الوقت تقصد نفسها، وتتكلم بضمير الغائب لأنها في حال انفصال لحظيّ. (ت)

- " إنه مكان رائع وفسيح، كمـا تعلمـين. سـوف تقضي "جين" أيام حياتها قبل أن تستوعبه كاملا!"
- " هل (ديفيدهم)1 سوف يأتي ؟"
- " أجل، يا حبيبتي، خلال لحظة."
- " هل ستبدو هي ... هل سأبدو أنا ... لطيفة في عينيه؟"
- " لطيفة" ليستْ الكلمة المناسبة يا قطتي الحبيبـة، تبدين جميلة مثل لوحة."

رفعت رأسها وابتسمت، وحـين أراد أن ينظـر فـي عينيها، حين انحنى ليقبلّها، لمح النور يرتعد ثم ينطفئ. لهـب الشمعة ارتعش ثم خبا. لكنه قبلّها على أية حال، آملاً...، غير أن شفتيها كانتا غير مستجيبتين. حين انـسحب ونظـر إلـى وجهها ثانيةً، كان الخواء العميق قد عاد.

- " جين؟"

لا شيء على الإطلاق2. احتضنها، وأرجحها بلطفٍ.

- " جيني البائسة! قال. " جينـي حبيبتـي التعـسة البائسة."

رن جرس الباب في الخامسة تماما. حين فـتح "تـوم" الباب كان "ديفيد" واقفا عند العتبة. مسح بعينيه القاعة بحثًا عن حقائب أمه، وبدا محبطًا قليلاً حين لم يجد أيا منها.

---

[1] Their David تقصد ابنهما ديفيد. تفيد التدليل (ت)

[2] لم ترد ولم تبد عليها أية ردة فعل. (ت)

- " أبي؟ ماذا هناك؟ أليستْ مستعدة؟

نظر "توم" إلى ولده. كانت به ملامـح مـن "جينـي"، منعكسةً في جبهته العالية الناصعة، وفي زرقة عينية الوفيرة. هز "توم" رأسه.

- " لا، ليست مستعدةً.، كلانا غير مـستعدٍ إن أردت الحقيقة. لقد أعدنا التفكير قليلا، والدتك وأنا، تحولٌ في القلب، يمكنك أن تقول."

- " لكن يا أبي ...."
- " توم؟ توم، هل هذا هو (ديفيدنا) ؟

جاء صوت "جيني" طافيا خلال غرفة المعيشة، فأوقف ولدها في منتصف الجملة. حملّق في والده، الـذي رد عليـه بابتسامة عريضة.

- " هل أخبرك بأمر يا فتى،" قال له فيما يأخذه مـن ذراعه،" لماذا لا تأتي للداخل ؟ سأضع غلاية الـشاي علـى النار. أمك تبتهج برؤيتك دوما ، سواء أظهرتْ هـذا أم لـم تظهره. وبعد ذلك سنمضي ثلاثتُنا في الدردشة، ما رأيك؟"

***

قتـلُ الأرانـب*

لم أتطلّع يوما إلى قتل الأرنب.

لا تقلّلوا من شأن هذا الأمر – فقد كنـتُ أرتعـد مـن الفكرة. كنت أفزع منه مثلما يفزع القتلةُ من أنشوطة المشنقة، أو كما يفزع غواصو البحار العميقة من التواءات العضلات، أو مثلما يفزع المدرسون التعساء من صباحات يوم الاثنين1.

- " لستَ مضطرا على فعل ذلك ! " هكـذا قالـت زوجتي "ماري"، التي كان القلقُ يزيد وجهها رهافةً، وكان هذا لطيفا منها، غير أن كلينا كان يعلم أن تلك لم تكن الحقيقة.

الحقيقة كانت حتمية أن أفعل ذلك. إذا لم أفعل، إذن ما الذي كنا نمثله هنا تحديدا ؟ إعادة عرض لكوميـديا " الحيـاة الطيبة "2 ؟

إذا لم أستطع أن أجبر نفسي على قتـل أرنـبٍ واحـدٍ أعزل، فإن كل كلامنا حول أسلوب الاكتفاء الذاتي، ومحاولة

---

* جائزة الكتابة للغاية TooWrite Competition

- قتل الأرانب توازي في ثقافتنا ذبحها. (ت)

[1] - انتهاء العطلة الأسبوعية وبداية العمل (ت)

[2] - ***The Good Life*** فيلم كوميدي بريطاني يتناول حياة أسرة من الطبقة المتوسطة. (ت)

الخروج من جنس الفئران، وإقامة حياة أكثر صحية، لن يغدو كل ذلك أكثر من كلام. مجرد كلام. وبوسعي الآن أن أسـمع والدة "ماري"، بوسعي أن أرى حاجبيها المقوسين، وابتسامتها التي تقول: ألم أقل لك ؟، وتهكمها الواثق :" أوه نعـم، أنـتَ دائما بارع في الكلام عن الأشياء، أليس كذلك يا جون...!".

حسنًا، لم تكن هي من يستحق هذه الترضية على أيـة حال ، لكن ماري وأنا كنا في طريق أكثر إيغالا من إمكانية التراجع، تجاوزنا منذ زمن نقطة اللا عودة. تركنا وظيفتينـا، تركنا بيتنا، ثم انتقلنا نهائيا إلى منطقة ريفية من البلد – والآن، انظروا إلينا.

أعجوبة العجائب، كنا نفعل الشيء الذي ظللنا نحلم بـه طيلة العامين الماضيين. وها نحن أخيرا، برغم كل العقبـات، ندير أرضا صغيرة تخصنا.

الأسابيع القليلة الأولى من محاولة تحويل المكان إلـى شكل مقبول كانت شاقة، لكن مرضية تماما. لا شك، فقد كانت الأرض المحيطة بالكوخ الريفي وعرة، وثمـة أعمـال بنـاء ناقصة، لكن المحيط العام كان رائعا. لدينا ثمانية هكتارات من تربة عفية خصبة، محاصيل تُزرع وتنمو، دجاجات تقرقـقُ، بطّات توقوق، إوزات تزمر، بضع خراف تمأمئ، وبطبيعـة الحال كان لدينا أرانب، أرانب مشغولة بما تحـب أن تفعلـه الأرانب عادة.

هل كان من الممكن أن أغامر بكل هذا، لمجرد أنني لا أستطيع أن أواجه ببسالة مذبحةً صغيرة - الشيء الذي هو ركن ركين من حياتنا الراهنة ؟

كلا. إنه الوقت الحاسم. الوقت الحاسم بالنسبة لي، الوقت الحاسم بالنسبة للأرنبة.

كان اسمها "تاج"، إحدى ثلاثة أرانب نيوزيلندية بيضاء. الذكر الضخم أطلقنا عليه اسم "بوبتيل"، أما الأنثى الأخرى فتُدعى "راج". كانت "راج" دائما حبلى بحملٍ ثقيل، ولو اتبعت "تاج" النهج نفسه لأصبح ثالوثنا الصغير في طريقه الصحيح المأمول نحو تزويدنا بحوالي 200 رطل من اللحم كل عام. هكذا تقول الكتب على كل حال.

لكن كان ثمة مشكلة. فرغم كل جهود "بوبتيل" (و كي أوفي الولد حقه لابد أن أقول إنه بذل قصارى جهده بالفعل)، إلا أن "تاج" رفضت ترمي كرتَها. أسبوع بعد أسبوع بعد أسبوع، و"بوبتيل" يؤدي واجبه الرجولي بحماسٍ مذهل، غير أن "تاج" ظلّت على عقمها العنيد.

يقول خبراء الاكتفاء الذاتي : إذا كانت الأنثى غير منتجة، فإن مكانها الوحيد إناء الطهو ! وكانت "تاج"، تلك الأرنبة اللطيفة حلوة الطبيعة، من دون شك غير منتجة. حسنًا، لا مكان للعائشين على الصدقات في مزرعتي الصغيرة. "تاج" لابد أن ترحل.

- "إذا لم تصبح حبلى على نهاية الأسبوع،" أخبـرتُ ماري، " إذن سيكون. سنجلب أنثى أخرى، وسيكون علي أن .... ، أنتِ تعرفين."

وجاءت نهاية الأسبوع، وكل ما يمكنني قوله إن "تـاج" ظلت عاقرا كما هي دائما.

- " غدا،" هكذا أعلنتُ بينما أتجه إلى زر الكهربـاء لأطفئ المصباح جوار السرير. " سوف أفعلها غدا."

في الظلام كنت أسمع تنفس "ماري".

- " هل أنت واثق؟"
- " نعم، لقد حان الوقت."

لم أستطع النوم تلك الليلة. سقطتُ في النوم للحظات قليلة، فإذا بالذي سوف أفعله في الصباح يقفز في أحلامي على هيئة شبح أرنب مخبول يتلوى، طوله 15 قدم، يتـرنح فـي خطوته على طريقة مشاهد أفلام الرعب.
رقدت في الفراش، عيناي شاخـصتان، أحملـق فـي الظلام، أفكّر، أتذكّر.

أعود بالزمن إلى الوراء، حين كان قرار الانتقال إلـى الريف مازال في طور المناقشة، كان أصـدقاؤنا يـستمتعون باستجوابنا حول طبيعة حياتنا الجديدة والنتائج التي سـنتورط فيها بناء على ذلك. اهتموا على نحو خاص بالجزء الخـاص

بعملية الذبح. بدا أن أحدا لا يعاني مشكلة كبيرة في التعامـل مع الدجاج، أو الإوز أو الخـراف، غيـر أن الكثيـر مـنهم روعتهم فكرة أن نربي، نقتل ثم نأكل الأرانب.

صديقانا الحميمان، "ستيف و بولين"، كانا يربيان زوجا من الأرانب المنزلية الأليفة غزيرة الشعر ذات الحيوية التـي تنطق بالجمال واللطف، اقتنى الصديقان هذين الأرنبين مـن أجل تسلية أطفالهما- ولذا لم يكن مدهشا أن يكون انزعاجهما شديد الخصوصية.

- " لن تقدر مطلقا أن تفعل ذلك،" هكذا قال "سـتيف" في إحدى ليالي لقائنا في الحانة. " ليس حين تنظر إلى الأسفل فتجد هاتين العينين البنيتين الواسعتين تنظـران إليـك، وذاك الأنف الصغير المرتجف...."

- " الأرانب النيوزلندية البيضاء لها عيون حمراء." قلت له.

هزت "بولين رأسها. " ستيف معه حق، مازلت أذكـر الحال التي انتابتك حين تعثرت وانقلبت فوق قطتنا."

أجفلتُ. دهسي لقطتهما كان أسوأ ما مر بي في حياتي كلها. أدركت منذ عهد بعيد أن "بولين" لن تتركني أنسى ذلـك الحدث أبدا.

- " الأمر مختلف،" أجبتُها بينما أختبئ خلف كـأس البيرة، "الأمر مختلف تماما."

- " ياللكائنات الصغيرة التعسة! " قالـت بابتـسامة نصفُها غضب ونصفُها استهزاء. " على الأقل لا تتوقع منـي أن أكون لطيفة معك بعد أن تكون قد اغتالـت ملايـين مـن الأرانب الرضيعة البريئة، هذا كل ما في الأمر. أنا أتكلم عن الدماء التي تلوث يديك..."

كانا على حق بلا ريب. أدركت دائما أننـي سـأواجه معضلةً مع عملية القتل تلك، لكني استطعت أن أطمئن نفـسي مادام الأمر مازال رهنًا بالمستقبل البعيد.

بوسعك أن تصنع حالة ذهنية تمكنّك من الكـلام عـن القتل، سلخ الجلد، التقطيع الخ...، مستخدما تلك المصطلحات العملية الهادئة ذاتها التي تتداولها كتب الزراعة. بوسعك أيضا أن تتعلم كيف تلهي نفسك عن المظهر الريفي غير المبهج عن طريق أن تتخيل كم هو رائع أن تعيش في مكان ريفي بـسيط مع " فليسيتي كاندال".1

غير إني عدلت تماما عن فكرة النوم، ومع بداية تسلل الضوء الخافت عبر الستائر، كان علي قبول حقيقة أنـي لـن أستطيع مجددا أن ألهي نفسي أو أصرف تفكيـري بـالأمر. الوقت الحاسم. أما فيما يخص " فليسيتي كاندال" – فلم تكن في أي مكان حتى تُرى.

---

1 - Felicity Kendall - ممثلة إغراء أمريكية . (ت)

حول الخامسة صباحا، انزلقتُ من السرير، ارتديت ملابسي وتسللتُ ببطء إلى الطابق الأسفل، تاركا "ماري" تتنازعها أحلامها الخاصة . وددتُ أن أنهي الأمر بأسرع ما يمكن، ومن الأفضل أن يتم بينما هي مازالت في نومها.

في الخارج، كانت شبورة الصباح الباكر تتدفق وتغطي الأرض. بدا ذلك مناسبا على نحو ما.

كان كل من " راج، وتاج، وبوبتيل" في أقفاصهم المنفصلة في الحظيرة الصغيرة خلف الكوخ. كانت أنوفهم تختلج تجاهي كلما اقتربت أكثر، بينما أخذ "بوبتيل" يضرب الأرض بأقدامه.

إذا قُدر لك أن تقتل أرنبا، فإليك ما يجب أن تفعله:

تأخذ ساقيه الخلفيتين بيدك اليسرى، تقبض على رأسه بيمناك، ثم تلوي الرأس إلى الوراء. في ذات الوقت تضغط يدك إلى الأسفل كي تشد العنق. إذا أديت الخطوات على نحوٍ صحيح، ستنكسر عظمة العنق ويحدث الموت تقريبا في لحظة.

قرأت التعليمات عشرات المرات. أحفظها عن ظهر قلب. بل إني مارست كل تلك الخطوات من قبل على منشفة الصحون باعتبارها أرنبا ! غير إني بمجرد أن أخرجت "تاج" من قفصها،..... ارتعشت يداي.

حملتها إلى الخارج حتى لا يتمكن "راج و بوبتيل" من رؤية الذي سوف يحدث. داعبتها، أخبرتها أني آسـف، ثـم، بأسرع وأدق ما يمكن،...

قتلتها.

***

كان الأمر رهيبا، سوف لا أنساه مطلقا. ولن أنسى أبدا كم القسوة التي كان علي أن أجذب بها.

غير إني أنجزت الأمر على نحو صحيح. نعـم علـى الأقل أنجزته على نحو صحيح. إذا كانت قد تألمت، فلم يكـن ذلك إلا لثوان قليلة.

بعدما قتلتها، كان علـي أن أنجـز عمليتـي الـسلخ والتقطيع. أعرف النظرية – عليك أن تحزم سـاقي الأرنبـة الخلفيتين فوق مفصل القدم مباشرة ثم تعلقها على خطـافين. بعدها تشق قَطعا صغيرا أعلى مفصل كل كاحل من سـاقيها الخلفيتين، ثم تمد القطع حتى فتحة الإست. بعدئذ تنزع طبقـة الفراء عن الجاد عند ساقيها ثم تقشرها عن سائر الجسد.

فعلت كل ذلك، فعلته على نحو جيد. لقد هيمنت علـى الموقف الأساسي ، جابهت الأمر الـذي طالمـا أفزعنـي ، تصرفتُ كرجلٍ. وكنت بالفعل راضيا عن نفسي.

***

حين فتحتها لأفرغ أحشاءها، تبخـرت كـل مـشاعر الغبطة.

***

هبطت "ماري إلى الطابق الأسفل ووجدتني جالسا فـي المطبخ.

- " ماذا هناك؟" قالت
أخبرتُها.

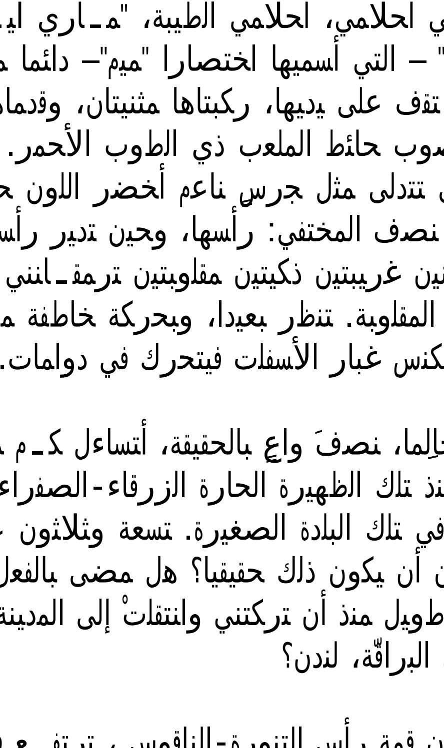
تعرفت على الكبد، القلب، الكليتين، لكن ثمـة أشـياء أخرى في الداخل لم أستطع التعرف عليها مطلقا. أشـياء لـم تكن في الكتب.

عشرة أشياء.

- " كان يجب أن أنتظر يا ماري، "تاج" كانت ملأى بالصغار."
كانت "تاج" حبلى. بعد كل هذا

***

الجَرَس*



في أحلامي، أحلامي الطيبة، "ماري آيريس ماك كورماك" – التي أسميها اختصارا "ميم"– دائما ما تمارس الشقلبة، تقف على يديها، ركبتاها مثنيتان، وقدماها مزروعتان بثبات صوب حائط الملعب ذي الطوب الأحمر. تنورة زيها المدرسي تتدلى مثل جرسٍ ناعم أخضر اللون حول مطرقة الناقوس نصف المختفي: رأسها، وحين تدير رأسها لتواجهني، أرى عينين غريبتين ذكيتين مقلوبتين ترمقانني من أسفل الأهداب المقلوبة. تنظر بعيدا، وبحركة خاطفة من شعرها الأشقر تكنس غبار الأسفلت فيتحرك في دوامات.

حالِما، نصفَ واعٍ بالحقيقة، أتساءل كم من الوقت مضى منذ تلك الظهيرة الحارة الزرقاء-الصفراء، داخل خيمة شقيقتها في تلك البلدة الصغيرة. تسعة وثلاثون عاما؟أربعون؟ هل يمكن أن يكون ذلك حقيقيا؟ هل مضى بالفعل كل ذلك الزمن الطويل منذ أن تركتني وانتقلتْ إلى المدينة، إلى حيث الأضواء البرّاقة، لندن؟

من قمة رأس التنورة-الناقوس ، ترتفع في الهواء ساقان مضبوطتان، زوجان متماثلان من الدعامات الطائرة

---

* - جائزة "وورد سميتن" 2003 *Word Smitten* -

تقبلاّن الحائط من أجل أن تبقيه مكانه. تنفردان فجأة، تنفصلان بكل مهارة، فتصبحان حرف V يتحرك بينما تتقدم "ميم" نحوي ببطء، متزنة، مستقرة، كفّاها تشكلان زاويةً قائمة مضبوطة مع معصمين قويين مرنين. مدهش. 1V يعني النصر.

أسمع جلجلةَ عاليةَ النبرة لضحكةٍ صادرة من باطن الناقوس، وفي ظلمة البقعة المحرمة – ذاك المكان الذي ليس لعيني عملٌ شرعي فيه – أبصر قطعة ملابسها الداخلية داكنة الزرقة.

ثلاث مراتٍ في الأسبوع الماضي أصحو عند هذه النقطة من الحلم، وأنظر صوب بحيرة النور حيث تجلس ممرضات الليل. أعرف إحداهن جيداً– الممرضة "ماري أوكانُر"، ذات الشعر الأحمر واللكنة الأيرلندية المحببة. أبوها كان ساعي البريد الخاص بي، يتسلّم رسائلي، يجمع ردودي، يجلب لي الصحيفة الجافة والإحباطات. أخبار المدينة الضخمة - المدينة التي هي أضخم مما يحتمل ولد مثلي من بلدة "فريستون" الصغيرة.

آه يا "ميم".

حين تتحرك الممرضة "ماري أوكانُر" على هذا النحو الواثق، وتضحك بتلك الطريقة، تذكرني بكِ.

---

[1] - حرف (V) أول حروف كلمة Victory أي النصر. (ت)

أحب أن أتخيلها واقفةً، تتثـاءب، تفكـك نفـسها مـن مركزها ومن بحيرتها النورانية الساطعة الصغيرة. أحـب أن أتصورها وهي مقلوبة، تمشي على يديها صامتةً عبر جنـاح النوم، ثوبها الأبيض الهش أضيق من أن يصنع شكل الناقوس، غير أن قبعتها الجادة ستسقط، ويتماوج شعرها الأحمر علـى الأرض حرا طليقًا.

أراها تقف عند سريري، تبتسم ابتسامة واسعة، تستدير ببطء، ثم تعود أدراجها إلى طاولتها. نعم. حتـى مـن دون جرس، حتى من دون أن ألمح قطعة ملابسها الداخلية داكنـة الزرقة، سوف يظل ذلك شيئا جديرا بالاستيقاظ من أجله.

أغمض عيني وأفكر فيكِ يا "ميم" – مازلتِ تمارسـين الشقلبة في أحلامي، مازلت ترينني قطعة ملابسك الداخليـة، مازلت تسببين لي المتاعب ... بعد كل تلك السنوات.

***

النبتة الصغيرة*

إنه الصباح الباكر، صباح عيد ميلاد "سايمون" الحادي عشر، وها هو يحلم بـ " كانوني" ثانيةً، يحلُم بالعالم الغريـب الذي تشاركه فيه أحيانا. ولو أن هذا المرة مختلفة. فهو أبدا لم يرها من قبل بمثل هذا الوضوح، لم يكن يقظا وواعيا بالفروق بين عالمها وعالمه قبل الآن. تغمره مشاهد وأصوات وروائح إفريقيا .

" كانوني" تمتطي فرع شجرةٍ تحلّق في الهواء على بعد مترين فوق فراش "سايمون"، تتـدلى سـاقاها الطويلتـان، و قدماها الحافيتان تتأرجحان بالقرب من وجهه. ثمة قطع فـي الجانب الأسفل من أحد أصابع قدميها، بوسعه أن يرى كعبـي قدميها العاريتين بشقوقهما السميكة وبشرتهما الغليظة.

خارج شرفة حجرة نومه، تزأر حركة المرور في لندن تحت الغيوم الرمادية. ثمة كلب ينبح. ومن بعيد يصرخ جهاز إنذار إحدى السيارات.

- " مرحبا أيتها النبتة الصغيرة، عيد ميلاد سـعيد."، قالت "كانوني" .

---

* جائزة الكومنولث للقصة القصيرة Commonwealth Short Story Comp

يبصر "سايمون" شفتيها تتحركان، يسمع كلامها داخل رأسه – لكنه يعلم أن صوتها لم يدخله بالطريقة المألوفة. "كانوني" تتكلم لغتها الخاصة، فمها يتشكّل على نحوٍ غريب، يأخذ أشكالا متحركة، غير أن الكلمات التي يسمعها كانت دائما كلمات إنجليزية.

- "شكرا لكِ يا "كانوني"، قال لها.

يتكلّم بهدوء لأن نوم أبويه خفيف وهو لا يريد أن يسمعاه يكلّم نفسه ثانيةً. ليس بعد الذي أجبراه على فعله في المرة الأخيرة.

ابتسمت " كانوني" ابتسامة عريضة، فظهرت أسنانها مثل صدمة بيضاء داخل الإهليليج المظلم من وجهها.

- "تعال." قالت، بينما تهبط للأسفل.

يدفع لحافه بعيدا، يأخذ يدها، وبقفزة واحدة يسيرة يلحق بها فوق غصنها الإفريقي، قشرة الشجرة خشنةً تحت فخذيه النحيلين. يبصر في الأسفل الطريق الجافة القاحلة التي تصل بين الشجرة وبين القرية، ويرى الشمس، كرةً برتقالية ضخمة، تصعد فوق مجموعة من الأكواخ الصغيرة المتربة. السماء في الأعلى صحنٌ مقلوب من الأزرق والذهبي.

إذا ما أدار رأسه قليلا، سيظل بوسعه أن يرى غرفة نومه، الملصقات على حوائطها، تليفزيونه، حاسوبه.

يتوقّف إنذار السيارة، في حين يظل الكلاب ينبح.

- "هذا عجيب !" ، قال هذا بينما يشعر باتزانه فـوق نقطة التقاء منحنيي عالمين.
- " نحن فوق صهوة حـصان، منطلقـين صـوب "مومباسا"، حصان خشبي على شكل شجرة"، تقول كوناني.

تضحك، و معا يشاهدان فجر يومٍ إفريقي جديد.
فجأة ينتبه "سايمون" إلى بيجامته التي على شكل "الرجل العنكبوت". كيف يبدو شكله الآن، وهو يمتطي هذه الشجرة ؟ يبتسم ابتسامة عريضة.

- "انحني قليلا إلى الخلف، أيتها النبتـة الـصغيرة،" تقول كانوني.

يفعل ذلك، فتطوقه بذراعيها. يشعر بـدفء جـسدها، يستنشق الرائحة الطيبة لبشرتها، ويـشعر بالأمـان. يـشعر بالانتماء.

- " بالتأكيد أنت تنتمي،" تقول "كانوني" فيمـا تقـرأ أفكاره. " كلانا منتميان سويا، أنتَ وأنا. بذرتي تنمو داخلـك، بذرتك تنمو داخلي."

يضع "سايمون" يده في يدها. تتلمس الكدمات الزرقاء، الخطوط الحمراء الغاضبة علـى معـصمه. تمـسح عليهـا بإصبعها.

- " والدك؟ " تهمس فيما تقبل أذنه.

"سايمون" يومئ برأسه موافقا.

تتنهد "كانوني". يستطيع أن يخمن أنها تنظر الآن في أرجاء غرفة نومه.

- " أنتَ تملك الكثير جدا،" تقول كانوني. " ورغم ذلك أنتَ تملك القليل جدا."

ينظر "سايمون" إلى القرية المغبرة، يرى والد " كانوني" يبرز فجأةً من أحد الأكواخ. يقف في مدخل الباب، ملوحا في الضوء الذهبي.

- " أنتِ تملكين القليل جدا،" يقول سايمون،" ومع هذا أنتِ تملكين الكثير جدا."

تعانقه "كانوني".

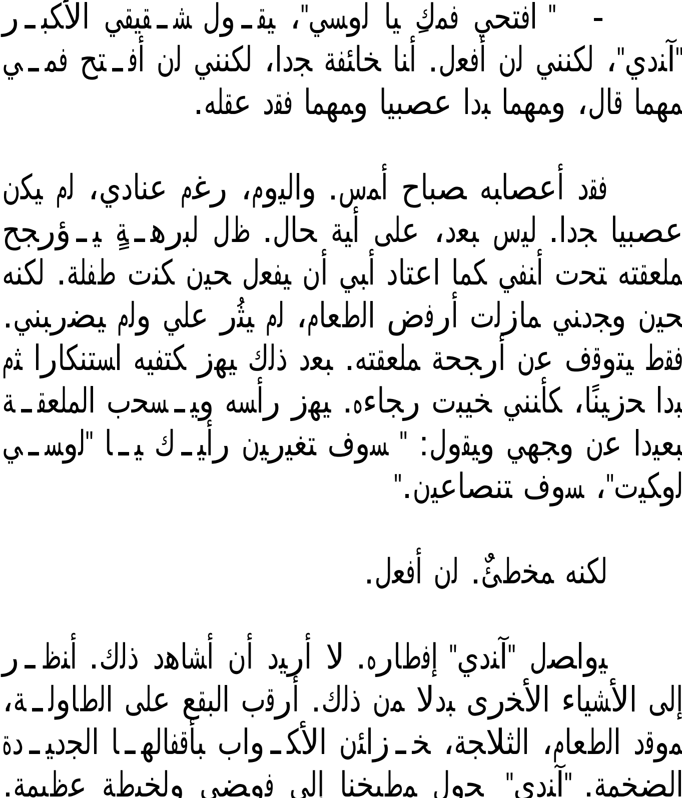
- "اليوم عيد ميلادك أيتها النبتة الصغيرة. أنت كبير بما يكفي. لدي الكثير مما يجب أن أخبرك به."

لفترة من الوقت يجلسان سويا في الشمس المشرقة، يتكلمان عن نفسيهما، وعن النبتات الصغيرة الأخرى.

يتكلمان عن كيف سيجعلان كل شيء في العالم يتغير.

***

وجبة إفطارٌ مع "آندي"*



- " افتحي فمكِ يا لوسي"، يقول شقيقي الأكبر "آندي"، لكنني لن أفعل. أنا خائفة جدا، لكنني لن أفتح فمي مهما قال، ومهما بدا عصبيا ومهما فقد عقله.

فقد أعصابه صباح أمس. واليوم، رغم عنادي، لم يكن عصبيا جدا. ليس بعد، على أية حال. ظل لبرهةٍ يؤرجح ملعقته تحت أنفي كما اعتاد أبي أن يفعل حين كنت طفلة. لكنه حين وجدني مازلت أرفض الطعام، لم يثُر علي ولم يضربني. فقط يتوقف عن أرجحة ملعقته. بعد ذلك يهز كتفيه استنكارا ثم بدا حزينًا، كأنني خيبت رجاءه. يهز رأسه ويسحب الملعقة بعيدا عن وجهي ويقول: " سوف تغيرين رأيك يا "لوسي لوكيت"، سوف تنصاعين."

لكنه مخطئٌ. لن أفعل.

يواصل "آندي" إفطاره. لا أريد أن أشاهد ذلك. أنظر إلى الأشياء الأخرى بدلا من ذلك. أرقب البقع على الطاولة، موقد الطعام، الثلاجة، خزائن الأكواب بأقفالها الجديدة الضخمة. "آندي" حول مطبخنا إلى فوضى ولخبطة عظيمة.

* جائزة الرماد the Ashes Competition

وفعل الشيء ذاته في كافة أرجاء المنـزل، ملابـسه وكتبـه وأوراقه في كل مكان. الوحل على الأرضـية مـن حذائـه الطويل، صحون الأمس ملقى بها في الحـوض كمـا تلقـى النفايات، وفي الركن جوار الباب الخلفـي بوسـعي أن أرى زوجا من جواربه المتسخة.

أكره حال الفوضى تلك. حين كان أبي هنا، كنا دائمـا نحافظ على البيت نظيفا منظّما، وشديد الأناقة. أحبه هكذا. لو سمح لي "آندي"، سوف أقوم بتنظيف كل شيء فورا، في هذه اللحظة تحديدا، لكنني أعلم أنه لن يسمح لي. وإذا فعلت ذلـك بغير موافقته، سوف أقع في مشكلة ضخمة.

الساعة بطيئة جدا. أحدق فيهـا وأحـاول أن أجعـل العقارب تمشي أسرع. أريدها أن تأتي على الوقت الذي يخرج فيه "آندي" إلى العمل. الوقت الذي أصبح فيه نفـسي. حـين أكون نفسي سوف أكتب في دفتر مذكراتي من جديد.

أجعل عيني تخرجان من البؤرة وأحاول التفكير في لا شيء، غير أنني لا أستطيع. أفكر في الوقت، فـي سـاعات الحائط وساعات اليد وكيف يمكن أن نشاهد الساعة. أبدأ فـي التفكير في الطعام، وبعدها لا أستطيع التوقف.

- " اللعنة!!" يقول "آندي" ذلك فيجعلني أقفز. أنظـر إليه فأراه وقد أسقط بعض الطعام مع اللعاب جوار ذقنه. ثمة بقعة مبتلّة فوق قميصه، لا أريد أن أرى أيا من ذلك، أنظـر بعيدا.

أتمنى لو لم أكن جائعةً إلى ذلك الحد. أنا جائعةٌ كما لم أكن في حياتي كلها.

أرفع كأسي وآخذُ رشفةً فتصدر معدتي جلبةً أثناء نزول الماء. يسمع "آندي"، ورغم أنني لا أنظر إليه، لكن بوسعي أن أشعر بابتسامته العريضة. هو يحسب أن صرير معدتي يعني أنني سأفعل ما يريد. يظن أنني سرعان ما سأشاركه إفطاره – لكنني لن أفعل. رغم أني لم آكل أي شيء منذ مدة طويلة، أيام وأيام، ورغم أنني في طريقي لأبدو مثـل هـؤلاء الأطفـال الأفارقة الذين تراهم في التليفزيون يتضورون جوعا، لكننـي لن أشارك "آندي" إفطاره. إلى الأبد. أنا مثل ذلك الرجل البدين فوق الدراجة البخارية، الرجل الذي غني تلك الأغنيـة التـي اعتاد أبي أن يحبها:" بوسعي أن أفعل أي شـيء مـن أجـل الحب، لكنني لن أفعل ذلك."

أتمنى أن يأتي وقت ذهاب "آندي" إلى العمـل. أتمنـى ذلك جدا، جدا.

***

الثلاثاء.

مفكرتي الحبيبة. لم يضربني هذا الصباح، لكنه يكلـم نفسه كثيرا. ليست كلمات منطقية، بل تلك الكلمات المصنوعة التي يستعملها أحيانا. يفعل ذلك أكثر وأكثر منذ أن مات أبي، وهذا مخيف. هو يصيح ويتوعد ويسب كثيرا أيضا.

يفحص كل مزاليج الخزانات مرتين قبل خروجه إلى العمل. وكان اشترى قفلا جديدا، قفلا أكبر للثلاجة. وبينما كان يركبه أخبرني أنني أصبحتُ جلدا على عظم، وتظاهر بالقلق الشديد. ثم الآن، بعد أن حبسني في غرفتي، قال الشيء الذي أرعبني جدا. وقف في الخارج وقاله بصوت عالٍ، من خلال الباب.

- " تعرفين ماذا يجب عليك فعله يا "لوسي"، لن تبرحي الغرفة الآن، لن تبرحيها حتى وقت متأخر جدا" هكذا قال.

كان يصفّر وهو يغادر المنزل. سمعت الشاحنة تدور ورأيته يقودها إلى أسفل الطريق. والآن، أنا وحدي من جديد. وحدي تماما.

لا يزعجني أن أكون وحيدة، لكنني أكره أن أُحبس هكذا. حين أُسجن على هذا النحو أشعر أنني على وشك الجنون، وذلك حين أفكر أنني لن أعيش طويلا. عيد ميلادي الشهر القادم، لكن إذا لم أخرج من هذه الغرفة بشكل أو بآخر، وإذا لم أجد شيئا آكله، أعتقد أنني لن أصل السادسة عشر.

السادسة عشر.

- " ترقّبي يا "لوسي لوكيت" ، يقول "آندي" أحيانا. "السادسة عشر على الأبواب."

سوف يلمسني حين يقول ذلـك، إلا إذا رأيتـه قادمـا فأنسحب سريعا. أكره أن يمسني.

- " سن الرشد، قريبا جدا،" يقول هذا ثـم يـضحك ضحكته المقرفة.

أعتقد أنني ربما لا أود أن أبلغ السادسة عشر. أظننـي لا أريد أن أصل إلى السن القانونية.

***

الأربعاء.

يومياتي الحبيبة. أمس كان يوما طيبا. يومـا مهمـا. وجدتُها ! وجدت طريقة للخروج من غرفتي.

ما فعلته هو التالي:

انتظرتُ حتى خرج "آندي"، تـسلقتُ خـارج النافـذة، دسستُ أصابعي في الفجوات بين قوالب الطـوب. تحركـت بمحاذاة الحافة حتى الماسورة الضخمة في زاوية البيت. كان شيئا خطرا لأن غرفتي مرتفعة جدا، وتألمت أصابعي جـدا، وكدت أسقط مرتين، لكن، كان لابد أن أفعل ذلك.

بمجرد وصولي إلى الماسورة كان من السهل أن أهبط للأسفل. ذهبت رأسا إلى شجرة التفاح الكبيرة وأكلـت ثـلاث تفاحات. كنت أرغب في المزيد لكنني أرغمت نفـسي علـى التوقف بعد الثالثة مخافة أن أُصاب بالإعياء. بعـدها ذهبـت للنظر داخل السقيفة. الأغراض التي أردت كانت مـا تـزال

هناك. الحبلُ كان مخبأً وراء بعض الصناديق، لذلك لن يلحظ "آندي" غيابه إلا إذا احتاجه، وهذا احتمالٌ ضعيف.

لم آخذ كل صندوق السم قاتل الأعشاب الضارة. فقط أفرغت بعضا من محتوياته في منديلي، ثم ربطته في حزامي. كنت مرتعبة من أن يعود "آندي" مبكرا ويمسك بي، لذلك خبأت تفاحتين أخريين في جيبي، ربطت الحبل في كاحلي، وتسلقت عائدةً إلى غرفتي. كدت أسقط مرةً أخرى، لكنني لم أسقط، والآن والحبلُ لدي، بوسعي الخروج والدخول وقتما أشاء.

خبأتُ الحبل والسم تحت إحدى بلاطات الأرضية المفكوكة. لو اكتشف الذي أفعله أعتقد أنه سيقتلني.

***

الخميس.

يومياتي العزيزة. اليوم على الإفطار كنت خائفة حقا أن يلحظ "آندي" الاختلاف. فكرت أنه ربما يوجد مذاقٌ لاذع أو شيء من هذا القبيل. راقبته جيدا – كان مسرورا لأنني أراقبه – لكن يبدو أنه لم يلحظ شيئًا. أظن أن خُطّتي قد تنجح.

وأنا أشاهد "آندي" يأكل اليوم، تذكرت الصباح الذي رأيته فيه يأكل ملعقته الأولى من جسد والِدِنا. بدا ذلك منذ أمد

بعيد. كأنه شهر تقريبا – كان يجب أن أبدأ في الاحتفاظ بـك مبكرا يا مذكراتي.

كان يوما مشمسا، ليس ممطرا مثل الآن، أتذكّر حين نزلت لتناول الإفطار، وكان "آندي" قد جلس بالفعل على السفرة. بدا وكأنه ظل ينتظرني. بدا متوترا.

"اليوم، هذا هو اليوم يا لوسي الصغيرة،" قال هذا وأجلسني جواره. ثم جعلني أشاهده وقد شرع في أكل أبي.

كان يتحدث عن اشتغاله على الأمر لأسابيع، منذ ذلك اليوم الذي أحضرنا فيه جرة رماد الوالد من محرقة الجثث. أمطرت في ذلك اليوم أيضا، وصرختُ طويلا. وضعنا الجرة على رف عالٍ في المطبخ، وبعدها أقام "آندي" احتفالا صغيرا بالشموع ونحوها. كان يتظاهر بأنه يقرأ مادةً في كتاب، مادةً بلغة هزلية، غير إني أعتقد أنه اختلق اللغة.

ذاك الحفل كله كان فكرته هو. بدأ كل شيء على ما يرام لكن سرعان ما غدا الأمر بشعا. لم أرد أن أشارك، لكنه أرغمني، وبعد ذلك اضطررتُ إلى الذهاب إلى التواليت للتقيؤ. وحين دخلت فراشي في الليل، أتى إلي وأخبرني ماذا ينوي أن يفعل. ماذا سيفعل بأبي. أخبرني بالخُطة.

- " إنها مادةٌ مهمة يا لوسي،" قال. "إنه الشيء الذي فعله الناس في العصور القديمة، قبل المسيح وقبل كل شيء. حين كانوا يعيشون في الكهوف ويصطادون الحيوانات

المتوحشة بالرماح. إنها تعطيك القوة. تحوِّلك إلى كائنٍ خاص متميز."

بعد ذلك وبعد أن أنهى عبثه معي، قـال:" أريـدكِ أن تكوني شخصا مميزا أيضا يا لوسي."

في البدء، ظننتُ أن الأمر كلـه مجـرد كـلام. أنـتِ تعرفينني يا مذكراتي. فأنا غبية. أسيء فهم الأمـور أحيانًـا. لكنك تعرفين "آندي" أيضا، تعرفين كيف يكـون. يمكنـك أن تدركي كيف وقعتُ في غلطة كتلك. "آندي" يتكلم كثيرا. ولـد تحت فألٍ سيء، أبي اعتاد أن يقول إنه ملعون بلسان أنـشط مما ينبغي. يقرأ تلك الكتب، يكون تلك الأفكار، ثم يتكلم ويتكلم ويتكلم حتى تضطر إلى الخروج من البيت من أجـل نزهـة حول النهر لإطعام البط وما شابه. لأنك لو لم تفعـل، فمـن المحتمل جدا أن ترتكب شيئًا شريرا. ربما تأخذ سكين تقطيـع اللحوم الحادة من درج المطبخ وتطعنه في قلبه، ربما تقتله.

أعرف أنني يجب ألا أفكر بهذه الطريقـة، أعـرف أن ذلك خطأ، لكنه اعتاد أن يثير أعصابي حد الجنـون أحيانًـا. الجنون بالفعل. والآن الأمر أسوأ، أسوأ بكثير لأن أبي رحـل ولم يعد لدي أي شخص أكلمه، حـين تهـاجمني المـشاعر الشريرة، سواكِ أنتِ[1].

---

[1] ـ دفتر المذكّرات

كنا نتكلم، أبي وأنا. كان يأخذني لإطعام البط أحيانًا، كان يحكي لي قصصا عن أمي، ويخبرني ألا أدع "آندي" يدخل تحت جلدي. كان يمسك يدي بلطفٍ، ليس مثل "آندي"، ينظر في عيني ويبتسم. كم كان الحال أفضل حين كان أبي هنا! كان يعرف كيف يعمِل الكوابح وكيف يجعلُ الأمور أكثر بطأً. حين كان أبي هنا كانت الأفكار والأحاديث بعيدة كبعد خطط "آندي".

لكنه رحل الآن، ولم يعد هناك من يضع الكوابح في وجه "آندي". فقط أنا.

***

الجمعة.

مذكراتي الحبيبة. "آندي" في التواليت. وأنا محبوسة في غرفتي، لكن بوسعي سماع جلبته. آمل أن يخرج اليوم للعمل.

حلمتُ حلما سيئًا عن أبي الليلةَ الماضية. حلمتُ أنني عدت إلى البيت من المدرسة ووجدته ميتا عند قاع السلم، عنقه مثني ورأسه ملتوٍ تماما. "آندي" كان يجلس على الدرج ينظر بفزع، وبعدها صحوت وتذكّرت أنه لم يكن حلما. هذا ما حدث بالفعل.

بكيتُ طويلا. بكيتُ نهرا كاملا. أتذكّر كيف جعلني "آندي" أجلس معه على الدرج وأنظر إلى الأسفل حيث أبي،

وكيف كان يفتعلُ ضجيجا هزليا، وكيف أنه لم يبكِ. ربما لـم يبك لأن أبي كان يضربه أحيانا. ربما كان ذلك هو السبب. لا أدري.

بعد برهة راح إلى الهاتف وكلّم بعض الناس.

أتذكّر كيف جاءت سيارة الإسعاف وأخذت أبي. وضع "آندي" ذراعيه حولي وأمسكني لمدة طويلة. ربما لـساعة أو نحو ذاك.

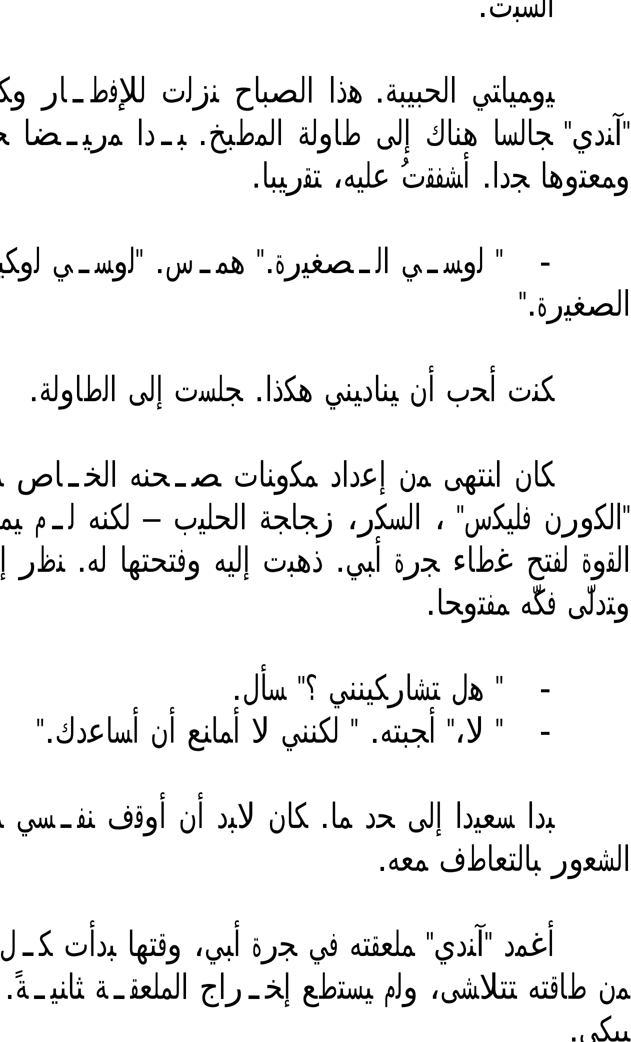
- "لوسي، لم يعد هناك غيرك وغيري الآن." قال.

وكان على حق، لأن أحدا لم يأت لزيارتنا بعـد ذلـك. كنت أحب أن أسكن على بعد أميال مـن أي مكـان قبـل أن يموت أبي، قبل أن ينزع "آندي" الهاتف. أكـره ذلـك الآن. الأشياء حولنا أصبحت عبثية منذ ذلك الحين. ليـست عبثيـة بمعنى ها-ها، بل شاذة العبث.

لا أظن أن "آندي" افتقد أبي، ولو قليلا، لكنني أفتقـده. أفتقده بشدة. أبي الآن مجرد حفنة رماد في جرة، وإذا أخفقتْ خُطّتي أعرف أن "آندي" سيستمر في التهامه كل يوم، مـلء ملعقة من جسد أبي كل صباح. ويوما ما سيفنى أبي تمامـا. سوف يغدو مجرد جرة فارغة فوق رف المطبخ.

ذهب آندي إلى العمل. شاهدته يمشي صوب الشاحنة. لم يكن على ما يرام.

***



السبت.

يومياتي الحبيبة. هذا الصباح نزلت للإفطـار وكـان "آندي" جالسا هناك إلى طاولة المطبخ. بـدا مريـضا جـدا ومعتوها جدا. أشفقتُ عليه، تقريبا.

- " لوسـي الـصغيرة." همـس. "لوسـي لوكيـت الصغيرة."

كنت أحب أن يناديني هكذا. جلست إلى الطاولة.

كان انتهى من إعداد مكونات صـحنه الخـاص مـن "الكورن فليكس" ، السكر، زجاجة الحليب – لكنه لـم يملـك القوة لفتح غطاء جرة أبي. ذهبت إليه وفتحتها له. نظر إلـي وتدلّى فكّه مفتوحا.

- " هل تشاركينني ؟" سأل.
- " لا،" أجبته. " لكنني لا أمانع أن أساعدك."

بدا سعيدا إلى حد ما. كان لابد أن أوقف نفـسي مـن الشعور بالتعاطف معه.

أغمد "آندي" ملعقته في جرة أبي، وقتها بدأت كـل ذرة من طاقته تتلاشى، ولم يستطع إخـراج الملعقـة ثانيـةً. راح يبكي.

- " أنا آسف أني حبستك في غرفتك،" قـال. "أنـا آسف على الكثير من الأشياء يا لوسي. ساعديني أكثـر مـن فضلك."

مددت يدي، جذبت الملعقة ورششت خليطَ رماد أبي مع سم الأعشاب فوق صحن "الكورن فليكس" الخاص بآندي. ثـم أضفت السكر واللبن. ابتسم لي "آندي" بامتنان.

بعد برهةٍ، بدأت أطعمه بنفسي.

***

رَحِمٌ يتأهبُ للولادة*

تقولُها شقيقتي ثانيةً.

- " الماما المنتفِخة[1] لن ترغب فيك."

أخبرتُها من قبل كم تزعجني جدا قولتُها تلك، لكنها لا تكترث. هي لا تكترث مطلقًا ولا تستمع. لذا أقرر للمرة الأولى ألا أضيع وقتي في التفكير والكلام. بدلا من ذلك سأنتظر حتى تنام، ثم أمد كلتا يدي – هذان الذراعان الغبيان مازالا نحيفين جدا، قصيرين جدا، الكفان والأصابع لم تكبر بما يكفي بعد – ثم أمسك بحبلِها السري. أقبض عليه بيمناي، على بعد شبرٍ من النقطة التي يختفي فيها داخل بطنها البدين، ثم تلويه يدي اليسرى إلى أسفل. قُطْر حبلِها السري أكبر من حبلي بمقدار الضعف، من أجل هذا هي كبيرة وأنا صغير. ليس بوسعي فعلُ شيءٍ حيال هذا الأمر. "يا أطفالي، الحياة غير عادلة"، هكذا تغني ماما الكبيرة حين تكون عكرة المزاج،

* - جائزة "بينيزورال" Peninsular Competition

* العنوان الأصلي Waiting Womb

[1] - يعني الأم في حالة حمل.(ت)

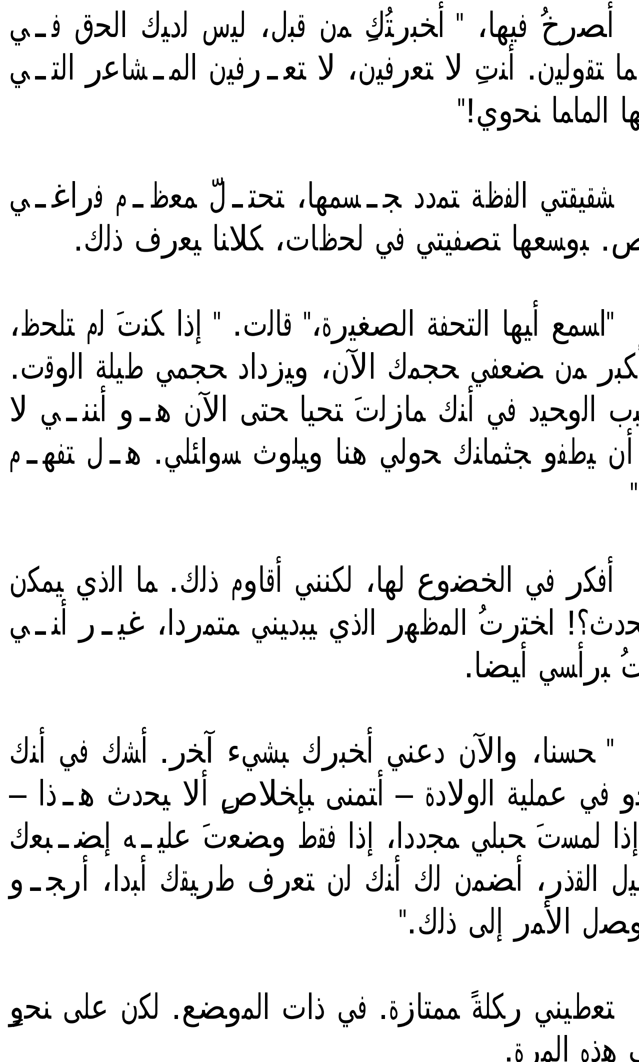
وهي على حق. تعلّمتُ ذلك مبكرا حالما أدركتُ أن شـقيقتي الشرهة تلتهم، ليس فقط نصيبها مما تمنحنا الماما من غـذاء وفير، بل نصف نصيبي أيضا على الأقل.

أتوقفُ برهةً وأنظر إليها، لدي قدرةٌ فائقة على الإبصار الليلي، تطفو إلى جواري. هي مقلوبة، أو ربما أنـا. الأمـر نسبي كله. أهز رأسي وأقولُ لنفسي أنني على وشك ارتكـاب خطأ غير محسوب، فشقيقتي الخنزيرة هي الأكبر حجما حتى وهي نائمة، هي الأكثر قبحا وبشاعة، وتمثّل أكثـر الأشـياء تهديدا لي في فضائي الراهن، وأعرف أنهـا تكـره معـدتي وقناتي الهضمية التي تكونت حديثًا. حين تفكرون فـي ذلـك الأمر ستجدون كم هو مدهشٌ أنني مازلت أحيا إلى الآن.

كلا، يجب ألا أفعل ذلك، أعلم أني يجـب ألا أفعـل. لكنني الآن غاضب. الآن نالني ما يكفي من تغوطها: "مامـا المنتفِخة لن ترغب فيك"، وأريد قليلا من الترضية، قليلا مـن الثأر. لذلك سأمضي في طريقي. أحكم قبضتي علـى الحبـل السري لشقيقتي الفظّة، أضغطُ بأكثر ما يمكنني، ثم أعطيه شدة محكمة عنيفة.

تستيقظُ ويعوى صوتُ تفكيرها في رأسي. " هيه، أنتَ يا كيس الحثالة! ماذا بحق الجحيم ..."

تطيح بيدي بعنف بعيدا عن حبلها، وتركلُ بكعبٍ قدمها اليمنى جانب رأسي، لكن حتى قدمها كانت مبطّنة بكثيرٍ مـن الشحم لهذا لم تؤلم كثيرا على كل حال.



أصرخُ فيها، " أخبرتُكِ من قبل، ليس لديك الحق في قول ما تقولين. أنتِ لا تعرفين، لا تعرفين المشاعر التي تحملُها الماما نحوي!"

شقيقتي الفظة تمدد جسمها، تحتلّ معظم فراغي الخاص. بوسعها تصفيتي في لحظات، كلانا يعرف ذلك.

"اسمع أيها التحفة الصغيرة،" قالت. " إذا كنتَ لم تلحظ، فأنا أكبر من ضعفي حجمك الآن، ويزداد حجمي طيلة الوقت. والسبب الوحيد في أنك مازلتَ تحيا حتى الآن هو أنني لا أريد أن يطفو جثمانك حولي هنا ويلوث سوائلي. هل تفهم ذلك؟"

أفكر في الخضوع لها، لكنني أقاوم ذلك. ما الذي يمكن أن يحدث؟! اخترتُ المظهر الذي يبديني متمردا، غير أنني أومأتُ برأسي أيضا.

" حسنا، والآن دعني أخبرك بشيء آخر. أشك في أنك ستنجو في عملية الولادة – أتمنى بإخلاصٍ ألا يحدث هذا – لكن إذا لمستَ حبلي مجددا، إذا فقط وضعتَ عليه إصبعك الضئيل القذر، أضمن لك أنك لن تعرف طريقك أبدا، أرجو ألا توصل الأمر إلى ذلك."

تعطيني ركلةً ممتازة. في ذات الموضع. لكن على نحوٍ أعنف هذه المرة.

- "اتفقنا أيها الدمية العتيقة ؟"
- " على أي شيء؟"
- " هل كلامي واضح؟"

لم أجب بالسرعة المناسبة، لذا تركلتني ثانيةً. سمينةً كانت أو غير سمينة، فإن قدمها آلمتني هذه المرة. أراها تسحب ساقها للوراء للمرة الرابعة.

- " حسنًا، نعم كلامك واضح. الآن دعيني وشأني."

ابتسمتْ وأظهرتْ بتأنٍ لثتَها القذرة. لو لم أكن أعي الأمر لأقسمتُ أنها تمتلك مجموعةً كاملة من الأسنان.

- " وشيء آخر ..."
- " ماذا؟"

" إذا أردت لعضوك البائس المثير للشفقة هذا ألا يمضغ، فالأفضلُ لك أن تُبعد هذا الشيء المقرف عن وجهي!"

أسقطتُ يدي لأغطي نفسي. لا أعتقد أن الأمر سيصل بها إلى هذا الحد – لكنني تعلّمت من خبرتي السابقة أن الأفضل أن تكون آمنا لا نادما. أحاول أن ألتف بحيث أعطيها ظهري، لكن هذا ليس سهلا. نحن في شهرنا الثامن ولم يعد ثمة مكان للمناورة.

بالتدريج عدنا إلى حال التجاهل المتبادلة كالعادة.

أتكور على نفسي وأنصتُ إلى الضجيج بالخارج. الماما المنتفِخة لديها أصدقاء مدعوون على القهوة، يأتيني صوتها المكتوم عبر الجدران. أحب صوتَها. حين أولَد أتمنى أن تحب ماما صوتي. أتمنى أن تحبني. أتمنى أن تحبني أكثر مما تحب شقيقتي الخنزيرة.

ماما المنتفِخة تضحك لأن جنينيها يتحركان ويخبطانها من الداخل. رحِمنا يترجرج، وثمة شخص آخر يضحك، وآيادٍ تضغط على بطنها فتؤلم جانب جبهتي حيث ركلتني شقيقتي البشعة. قاومتُ نفسي كيلا أحك موضع الألم. هي تراقبني، أعلم أنها تراقبني، ولن أمنحها الشعور بالرضا.

أغمض عيني وأحاول أن أهدأ، لكن رأسي يكاد ينفجر من فكرة أن أمي لو أتمت شهور الحمل، سيكون أمامي شهر آخر في هذه الحال، وللحق، أنا لستُ واثقًا أن بوسعي تحمل ذلك والتعامل معه. شيء قاتل أن تُسجن في فراغٍ محدود مع عدوك اللدود. في المرات شديدة السوء أفكّر أن أعض حبلي الخاص وأنهي الأمر كلّه، حتى قبل أن يبدأ.

غير إنني أفكر وقتئذ في "البنت". البنت التي تعد نفسها *"لتولد شرسةً"*. البنتُ تلك هي سري الخاص، قوتي الداخلية. أعرفُ إنها السبب الذي من أجله سأتجاوز كل تلك الأوقات المظلمة. أغير رأيي في الأمور.

تعلمون ؟ الأمور لم تكن دائما هكذا. أتـذكر الأسـابيع الأولى من الحمل، لا تبدو الآن شديدة السوء - أفـضل مـن الآن على كل حال. صحيح أن الطفو داخل كائنٍ بشري آخر لم يكن أبدا فكرتي عن البهجة – لكن على الأقل في تلك الأيام المبكّرة كان هناك متسع من الفضاء لتتحرك، لتتمدد، لتضرب بأطرافك هنا وهناك. وقتها لم أكن أعرف أن الأمر أفـضل، لكنه كان. أنت تعيشُ، أنت تتعلم. لكن للأسف فبينمـا تعـيش وتتعلم فإن حجمك يكبر أيضا.

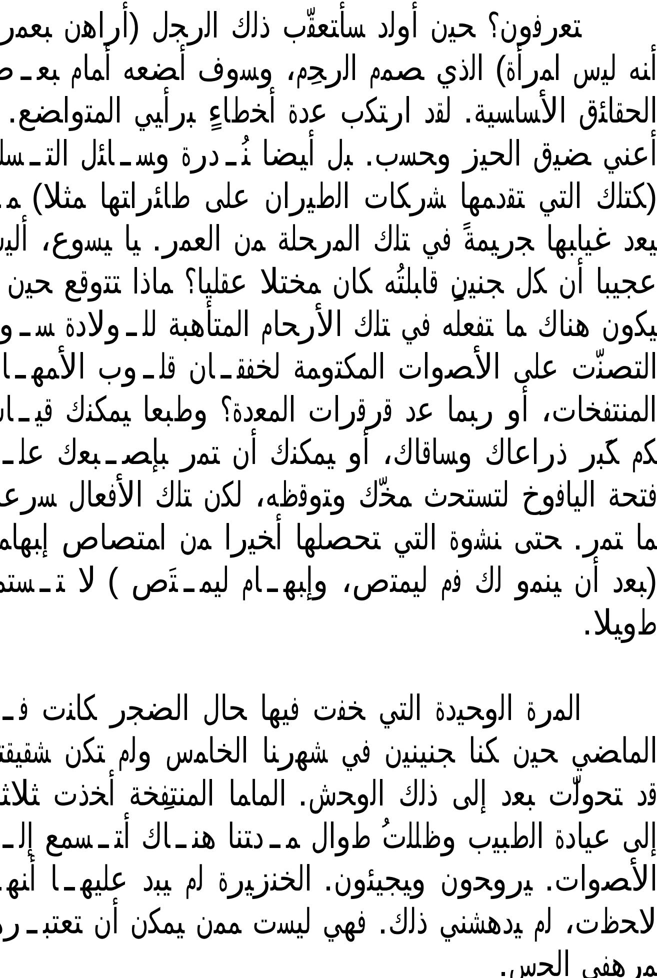
هناك أغنية أخرى تلخّص تلك الحال بالنسبة لي، أغنية تغنيها الماما المنتفِخة. هي تحب موسـيقاها وتغنيهـا أثنـاء تنظيف البيت. تلك الأغنية القديمة عـن التاكـسي الأصـفر الكبير. تؤديها على نحو لا بأس به – ليس تام الإتقان – لكن بما يكفي لوضوح القصيدة والنغمة. "*ألا تبدو الحياة مـسرعةً على الدوام، حتى أنك لا تستوعب قيمة ما امتلكتَ إلا بعد أن يذهب؟*"

كاتب تلك الأغنية يعرف شيئًا أو اثنين. خذوني مثـالا، فبمجرد أن تصل إلى علامة "*جنين ذي سبعة أشـهر*"، فـإن الكلاوستروفوبيا[1] تدخل بيتك فورا. خاصةً إذا كنتَ مجبرا على مشاركة الحيز مع آخرين.

تلك هي المشكلة الكبرى لدى الشقيقة البـشعة حـسب ظني. هي لا تجيد فن المشاركة.

---

[1] - Claustrophobia رهاب نفسي يعني الخوف من الأماكن الضيقة. (ت)



تعرفون؟ حين أولد سأتعقّب ذلك الرجل (أراهن بعمري أنه ليس امرأة) الذي صمم الرحِم، وسوف أضعه أمام بعـض الحقائق الأساسية. لقد ارتكب عدة أخطاءٍ برأيي المتواضع. لا أعني ضيق الحيز وحسب. بل أيضا نُـدرة وسـائل التـسلية (كتلك التي تقدمها شركات الطيران على طائراتها مثلا) مـا يعد غيابها جريمةً في تلك المرحلة من العمر. يا يسوع، أليس عجيبا أن كل جنينٍ قابلتُه كان مختلا عقليا؟ ماذا تتوقع حين لا يكون هناك ما تفعله في تلك الأرحام المتأهبة للـولادة سـوى التصنّت على الأصوات المكتومة لخفقـان قلـوب الأمهـات المنتفخات، أو ربما عد قرقرات المعدة؟ وطبعا يمكنك قيـاس كم كبر ذراعاك وساقاك، أو يمكنك أن تمر بإصـبعك علـى فتحة اليافوخ لتستحث مخّك وتوقظه، لكن تلك الأفعال سرعان ما تمر. حتى نشوة التي تحصلها أخيرا من امتصاص إبهامك (بعد أن ينمو لك فم ليمتص، وإبهـام ليمـتَص) لا تـستمر طويلا.

المرة الوحيدة التي خفت فيها حال الضجر كانت فـي الماضي حين كنا جنينين في شهرنا الخامس ولم تكن شقيقتي قد تحولّت بعد إلى ذلك الوحش. الماما المنتفِخة أخذت ثلاثتنا إلى عيادة الطبيب وظللتُ طوال مـدتنا هنـاك أتـسمع إلـى الأصوات. يروحون ويجيئون. الخنزيرة لم يبد عليهـا أنهـا لاحظت، لم يدهشني ذلك. فهي ليست ممن يمكن أن تعتبـرهم مرهفي الحس.

كنت هناك، أطفو هنا وهناك منشغلا بأموري الخاصة حتى سمعت فجأةً :" *هذه المرأة بلهاء، بلهاء تماما. هذا حظي أن ...*"

لم يكن صوت الخنزيرة. النبـرة مختلفـة، الـصوت مختاف. ثم سمعت واحدا آخر." *إنه مظلم، مظلم جدا. ربمـا أمكنني أن أحفر نفقًا...*"

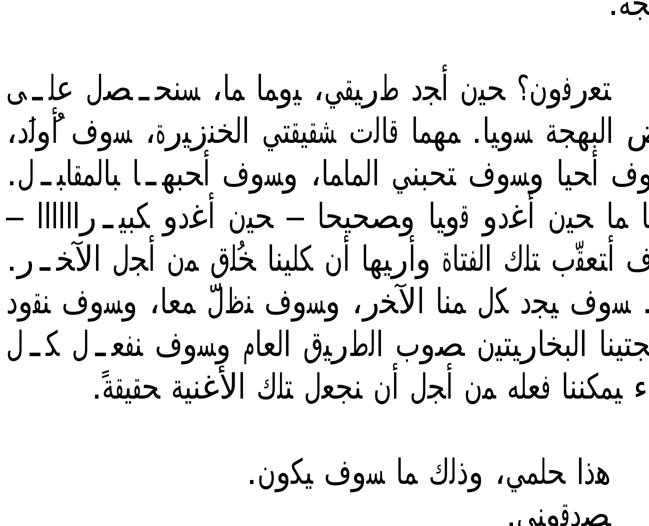
استغرقتُ برهةً لأستوعب ماذا يحدث، لكنني فهمت في النهاية. المكان لابد مكتظٌ بأمهات منتفخات أخريات، العشرات منهن، وكلما مرت واحدة منهن متباطئةً على مقربة منا أسمع قرقرة جنينها عن طريق موجات الفكر. تعودتُ على الكـلام القذر الذي تطلقه شقيقتي– كان عادةً عـن الطعـام أو عـن عروسة "باربي" التي سمعتْ عنها في تليفزيون الماما، أو عن مدى كراهيتها لي – لكنني لم أتخيل، حتى ذلـك الوقـت، أن بوسعي التقاط موجات أخرى من محطات خارجية كما حدث. كان هذا محفّزا طيبا لكنه فـي ذات الوقـت مخيـفٌ جـدا. صدقوني ثَم الكثير من اللغط لأجنة تسبح في السوائل هناك.

كان هناك جنين ظل يكرر نفس المقولة مراتٍ عديـدة، نفس الصرخة العجيبة ذات النبرة العالية التي تـأتيني عبـر الذهن . " *أيها المسيح في عليائِه .... ليس من مكـان يكفـي ثلاثة! يا يسوع، المكان لا يتسع لثلاثة!!!*" ظل يكررها مراتٍ ومرات، وكأنه يستنجد. أذكر أنني فكرت وقتئذ أن وضـعي، رغم كل شيء، لم يكن بهذا السوء. شيء واحد مؤكد، أن أمه كانت في لحظة بهجة حين انبثق هو وإخوته.

عندئذ سمعتُها. البنت. سري الحميم جدا، البنت التـي سأعثر عليها يوما. أحببتُ صوتَها فورا لأنها كانـت تغنـي الأغنية التي كانت ماما تغنيها أحيانا –*"والـدنا كـي نكـون شرسين"* – يأتي صوتها ليطغى على صوت الضربات العالية والخافتة لأضلع أمها.

" خُذْ دراجتك البخارية واركض
اتجه صوب الطريق العام
فتّشْ عن مغامرة
ومهما يحدث في طريقنا
اجعله يحدث يا عزيزي
عانق العالم بحب
أطلقْ كل رصاصاتِك مرة واحدة
وفجرها في الفضاء
مثل طفل الطبيعة الحقيقي
نحن والدنا،
والدنا
كي نكون شرسين.
بوسعنا أن نتسلّق عاليا
لا أريد أن أموت أبدا.

كنت منوما مغناطيسيا. كان بوسعي أن أراها تـرقص في الرحم، وكنت أتوق بكل قوة أن أجاور البنت تلك، طفلـة الطبيعة الحقيقية، بدلا من أن أُسجن مع هذه الخنزيـرة. هـي



وأنا، كان بوسعنا حالئذ أن نحصل سويا على الكثير من البهجة.

تعرفون؟ حين أجد طريقي، يوما ما، سنحصل على بعض البهجة سويا. مهما قالت شقيقتي الخنزيرة، سوف أُولَد، وسوف أحيا وسوف تحبني الماما، وسوف أحبها بالمقابل. يوما ما حين أغدو قويا وصحيحا – حين أغدو كبيراااااا – سوف أتعقّب تلك الفتاة وأريها أن كلينا خُلق من أجل الآخر. نعم. سوف يجد كل منا الآخر، وسوف نظلّ معا، وسوف نقود دراجتينا البخاريتين صوب الطريق العام وسوف نفعل كل شيء يمكننا فعله من أجل أن نجعل تلك الأغنية حقيقةً.

هذا حلمي، وذلك ما سوف يكون.
صدقوني.

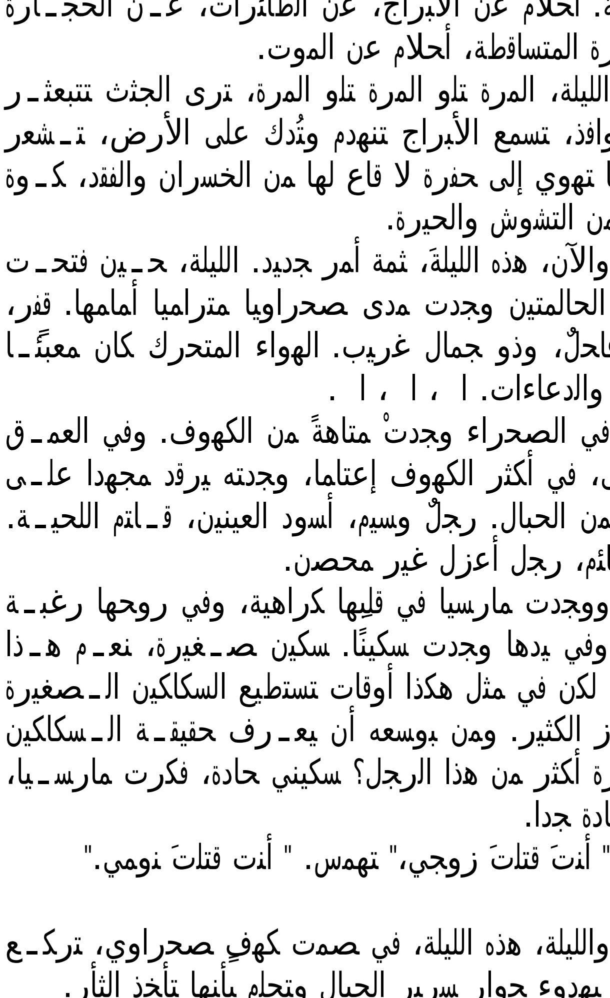
***

(1)

الليلة، في مكانٍ ما بعيدا عن نيويورك، ثمة امرأة شابة تحلم. اسمها "مارسيا". وحيدةً في فراشِـها تحلـم بالأوقـاتٍ الأجمل، بلحظات المشاركة: نزهاتٍ خلويـة، رحـلات إلـى حديقة الحيوان، عرض سينمائي، دعوة إلى العشاء. تبتسم في نومِها حين تتحرك أصابع زوجها الميت فوق كفها، حين تقبل شفتاه الميتتان النبض الحي في أسفل عنقها. هي تحلم بالذي " كان"، تحلم بحفنة السنوات التي لم تكن فيها وحيدة.

في الليالي الطيبة ترسو أحلامها عند تلك اللحظات، تلك الأمكنة. لكن الليالي الطيبة نادرة، وهذه الليلة لم تكن واحـدة منها. الليلةَ، أمام عينيها الشاخصتين، يتناثر طعـام نزهتهـا الخلوية فوق الأرض المعـشوشبة: يتعكّـر، يـتعفّن، يفـور بالديدان. الليلة تتحول حيوانات الحديقة إلى حشود مزمجـرة تطارد بالسياط وحوشًا وتهدم أقفاصها. الليلة يرعبهـا الفـيلم السينمائي، والوجبة التي هي مجبرة على أكلها كان لها طعـم التراب في لسانها، والرماد في حلقها.

الليلة، مرة أخرى، مارسيا تكافح وتتصبب عرقًا وتئن، ورغم أنها قد باعت شقة نيويورك وانتقلت بعيدا، بعيدا جـدا، إلا أنها تعلم أن ليس بوسعها أبدا أن تنتقل بعيدا بمـا يكفـي للهروب من أحلامها. أحلامها تتتبعها، تجدها أينما ذهبت، ليلة



بعد ليلة. أحلام عن الأبراج، عن الطائرات، عن الحجارة المتكسرة المتساقطة، أحلام عن الموت.

الليلة، المرة تلو المرة تلو المرة، ترى الجثث تتبعثر من النوافذ، تسمع الأبراج تتهدم وتُدك على الأرض، تشعر بروحها تهوي إلى حفرة لا قاع لها من الخسران والفقد، كوة جحيمٍ من التشوش والحيرة.

والآن، هذه الليلةَ، ثمة أمر جديد. الليلة، حين فتحت عينيها الحالمتين وجدت مدى صحراويا متراميا أمامها. قفر، جدب قاحلٌ، وذو جمال غريب. الهواء المتحرك كان معبأً بالغبار والدعاءات. ا ، ا ، ا .

في الصحراء وجدتْ متاهةً من الكهوف. وفي العمق الأقصى، في أكثر الكهوف إعتاما، وجدته يرقد مجهدا على سرير من الحبال. رجلٌ وسيم، أسود العينين، قاتم اللحية. رجل نائم، رجل أعزل غير محصن.

ووجدت مارسيا في قلبِها كراهية، وفي روحها رغبة قاتمة، وفي يدها وجدت سكينًا. سكين صغيرة، نعم هذا حقيقي، لكن في مثل هكذا أوقات تستطيع السكاكين الصغيرة أن تنجز الكثير. ومن بوسعه أن يعرف حقيقة السكاكين الصغيرة أكثر من هذا الرجل؟ سكيني حادة، فكرت مارسيا، نعم، حادة جدا.

" أنتَ قتلتَ زوجي،" تهمس. " أنت قتلتَ نومي."

والليلة، هذه الليلة، في صمت كهفٍ صحراوي، تركع مارسيا بهدوء جوار سرير الحبال وتحلم بأنها تأخذ الثأر.

(2)

كمسمار منتصب على أحد المقاعد الخشبية في كنيسته الخاصة، بينما المسيح على صليبه ينظر إليه من أعلى مثلما ينظر إلى نكتةٍ رديئة، يجلس الأب "أوو دونيل" سكران قليل الإيمان. يحلم أيضا. يحلم ويصرخ.

في حلمه، كان أيضا راكعا على ركبتيه. يركع في الشوارع المتكسرة. التراب في كل مكان حوله. شعره مبيض بالغبار، عيناه مكسوتان بالغبار، رئتاه محترقتان بالغبار. راكعا، أبيض، مكسوا، محترقًا، كان الأب "أوو دونيل" يلعن ا .

" كيف أمكنك أن تسمح بذلك؟" يصرخ. " كيف أمكنك..؟"

يحتضن رأس رجل يحتضر، يستمع إلى آخر همسة يقولها : مارسيا، مارسيا، مارسيا، مارسيا، مارسيا. لكن ا لا يقول شيئا. الرب صامت.

" تكلّم إلى!" يهتفُ الأب "أوو دونيل". " دعني أفهم."

البرج الثاني يسقط. غير واقعي. تصاريف الأحلام. شيء من أفلام سبيلبرج1. Spielberg

الرجل يموت.

[1] - Spielberg Steven مخرج أمريكي شهير (ت)

الرب يتحرك بطريقة غامضة، ولا يعبأ أن يناقشه.

والليلةَ يتقاسم الأب "أوو دونيل" الصحراء الباردة مـع مارسيا، يشاركها الكهفَ، يركع جوار سرير الحبال.

" هذا الرجل قتل إيماني،" يخبرها بينما عيناه مثبتتـان على نصل السكين اللامع. " هذا الرجل قتل ربي."

والليلةَ، الأب "أوو دونيل" سوف يحلم أيضا بثأره.

(3)

جورج، ابن جورج، يقضي الليلـة بالخـارج، يحلـم أحلامه. البيتُ الأبيض ينبسط فوقه وحواليه مثـل زوج مـن أجنحة عظيمة واقية، تحفظ وتؤمن حياةَ أكثر الرجال قوةً فوق الأرض. لكنه في أحلامه ليس سوى جورج الضعيف، جورج المتعب، جورج غير الآمن. في أحلامه يبحث عن شيء ما- يبحث، لكن لا يجد أبدا. ومثل الأب "أوو دونيل" يركع علـى ركبتيه في التراب، يرفع الصخور، ينظر تحتها. لا شيء. فقط المزيد من التراب.

طائرات/لعبة، العشرات منها، تئز حول رأسه، تـشتت انتباهه، تزيد حنقه. يمد يده ويمسك واحدة، يحطمها.

" يا ا !!،"

يهتف الطيار المتناهي الصغر وهـو يـسقط. يـسحقه جورج في التراب تحت إبهامه. حين يرفع يده يجـد إبهامـه

مصبوغًا بحمرة الدم. يمسحه في جاكيت الرئاسة قبل أن يرفع صخرةً أخرى.

مختبئين تحت هذه الصخرة، يجد شخصا نائمـا علـى سرير حبال، وامرأة وقسا يركعان كأنهما يصلّيان.

" هل يمكن أن أنضم إليكم؟" يسأل جـورج، مكرمـشًا جسمه، قلبه يدق بسرعة. الصخرة تغدو كهفا. يركع بهـدوء جوار الكاهن، يحدق في الرجل النائم، ثم يشكر ا أن انتهـى بحثه أخيرا.

" العين بالعين، والسن بالسن. يقول.

" الثأر" تهمس مارسيا.

يومئ جورج. " الثأر." يقول.

(4)

في صحراء ما، في كهف ما، فوق سرير من الحبـال، كان أسامة يحلم الليلةَ.

مرة أخرى يرى نصف مليون أمريكي ملحد ينهمرون في أراضي العربية السعودية ، مدعوين، مدعوين إلى تربـة بلاده، بينما جنود جيشه الخاص من "المجاهـدين"1 الأمجـاد ممنوعون من قِبل الحكومة الكافرة. لمـرة أخـرى يتـذوق

---

1 - mujahedin

المهانة، ينزف ألما من جراء تدنيس الأرض المقدسة، الخيانة التاريخية التي ضربت مقدساته.

يحلم بمكة، بالمدينة وبأورشليم، يحلم بالتحرير.

يرى أطفال أشقائه ينسحقون تحت عجـلات الـدبابات الإسرائيلية. يرى "الأمة"[1]، يحلم بالأمة، يحلم بعقيـدة غاليـة جدا، يحلم بأماكن مقدسة هي فوق الدماء، وفوق الأرواح!!

" التزموا بعهدكم،" يهمس لأشقائه. " سيروا على تعاليم ا وصراطه وامشوا على درب الجهـاد. دمـاؤكم دماؤنـا، شرفكم شرفنا، وأطفالكم هم أطفالنا."

كانت هناك خشخشة بجواره.

الليلة، مثل كل ليلة، كان أسامة يحلم بالثأر.

***

---

[1] - ummah

حوار :

جون ريفنسكروفت :

اللغةُ غير مقدسةٍ مثل شجرة الميلاد[1]

- **كيف تقدم نفسك إلى القارئ العربي؟**
- حين سألتني فاطمة ناعوت هذا السؤال أجبت كالتالي:

جون ريفنسكروفت، كاتب حر يعيش في لينكولنشاير بإنجلترا. يقضي معظم وقته في عراك السرد والقص وفي تحرير مجلة "كادينزا". وفازت قصص القـصيرة بجـوائز أدبيـة عديـدة ونشرت أعماله في ال BBC.

لكن يبدو أن هذا الرد لم يرق لها، إذ قالت:

- **هذا هو جون الكاتب، من هو جون الإنسان؟**
- أخفق دوما في الكلام عن نفسي غيـر إننـي سـأحاول باختصار أن أرصد حياة هذا الشخص.

ولد في إنجلترا عام 1954. ذهب إلى المدرسة ثـم أصـبح معلما، تزوج وعاش حياةً تقليدية حتى عام 1994 حين قـرر أن يحاول في مجال الكتابة. كانت تلك نقطة تحول في حياته.

[1] ـ نُشر الحوار بجريدة "القاهر" المصرية

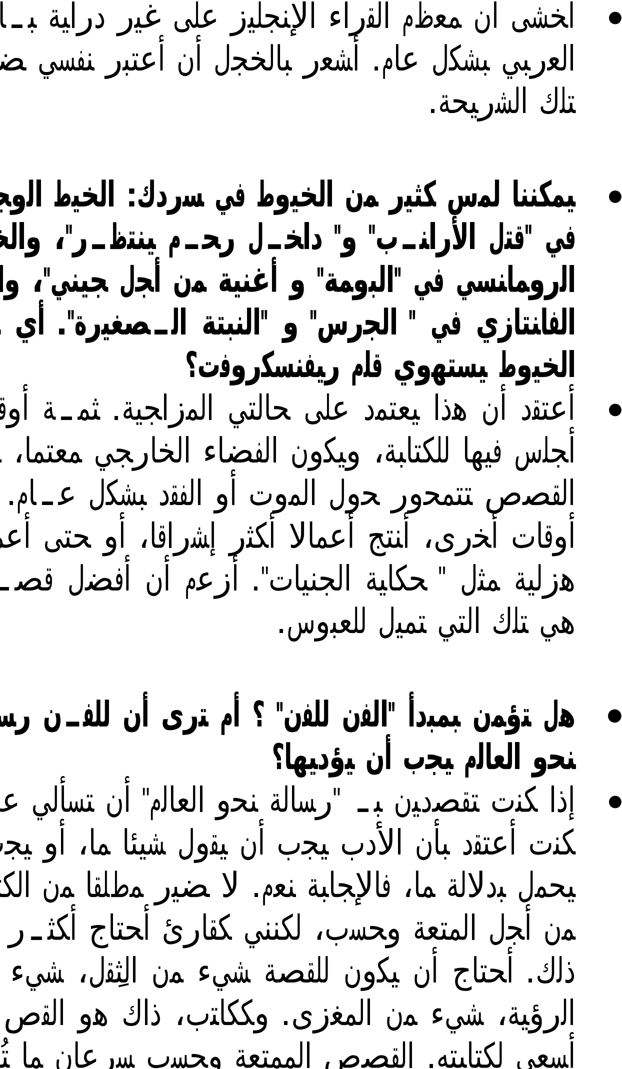
كتابة القص تتطلب قدرا كبيرا من اختبار النفس. وعبر عملية الكتابة أفترض أنني تعلمت العديد من الأشياء عن نفسي مـن نوازع وسمات، تلك التي انعكست بجـلاء علـى مـضامين أعمالي.
تأثرت عميقًا بمصرع شقيقتي في حادث سيارة حين كنت في الحادية عشرة، وأعتقد أن هذه التجربة أدت بي إلى الـتحفظ على العقيدة الدينية. لدي اهتمام قوي بالعـالم المـادي، فـي محاولة لفهم كيف جاء هذا الكون المدهش الذي نحياه وكيـف يعمل. أخضع لنزعتين متوازيتين: ولع شـديد بـذاك اللغـز ورغبة شديدة في فهمه، لغز الإنسان. أؤمن أنني، واعيـا أو غير واع، أستكشف تلك النوازع في قصي.
حين لا أكون في حال كتابة، أستمتع بتمـضية الوقـت مـع زوجتي ومع أصدقائي. ومثل كل الكتّاب، أقرأ كثيرا. ومنـذ أصبحت مشاركا في تحرير مجلة "كادينزا"ـ غدا علي مطالعة عدة أكوام من القصص القصيرة الكثيرة يوميا مما ترد للنشر في المجلة. هذا يضعني في دائرة تواصل مع الكتّاب بـشكل حميم، وهو نوع من العمل أراه مثريا ومفيدا للغاية.
ولقارئي العربي أقول :
قبل لحظة من جلوسي إلى مكتبي لأجيب عن هـذا الـسؤال كنت في نزهة بالخارج مع كلبي حول بحيرة على مقربة من بيتي. إنه صيف إنجلترا، حيث سياج الشجيرات حي بأعشاش الطيور. يخطر على بالي الآن سؤال حول مدى اختلاف بيئتي المحيطة عن بيئتك بمصر، وكيف أنه من المدهش، عبر جهد فاطمة ناعوت، أن أتواصل معك مختـرقين حـواجز اللغـة والجغرافيا! أتمنى أن تستمتع بقراءة مجموعتي هذه. وأشـكر


المترجمة أن أوصلت كلماتي إليك وإلى عدد أكبر من المتلقين.

- **هل يتكئ ريفنسكروفت في قصه على الواقع الصافي أم يلعب الخيال دوره أيضا؟**
- سؤال مثير. ربما أقول أن كل كاتب يسحب من رصيد خبرته في الحياة لتغذية مادته القصصية. لذا ربما توافقينني أن ثمة مفردات من الواقع وأخرى خيالية في كل قصة. في تجربتي الشخصية تجدين بعض القصص معتمدة بشدة على حياتي الخاصة، " سهرة مع الأم" نموذج لذلك، غير أن بعضها ذو روابط أوهن مع الحياة الواقعية.

- **إلى أي مدى مراقبة العالم تفيد كاتب القصة في عملية الإبداع؟**
- أعتقد أن مراقبة العالم أمر أساسي ومنشّط للفكر. حين نكتب سردا، نحاول أن نوهم القارئ أن ما يقرأه يحدث بالفعل ويحتل مكانا ما من العالم. كي نجعل ذلك العالم (الوهمي) يبدو حقيقيا، نستعير مفردات عادية وحقيقية من عالمنا ونفيد منها في العمل، فتبدو حقيقية حين يجدلها القارئ مع تجربته الخاصة. لذلك فمراقبة العالم بدقة من قِبل الكاتب تساعد قارئه على (تسكين) القصة موضعا ما من الحياة.

- **كيف يرى القارئ الإنجليزي الأدب العربي؟**



- أخشى أن معظم القراء الإنجليز على غير دراية بالأدب العربي بشكل عام. أشعر بالخجل أن أعتبر نفسي ضمن تلك الشريحة.

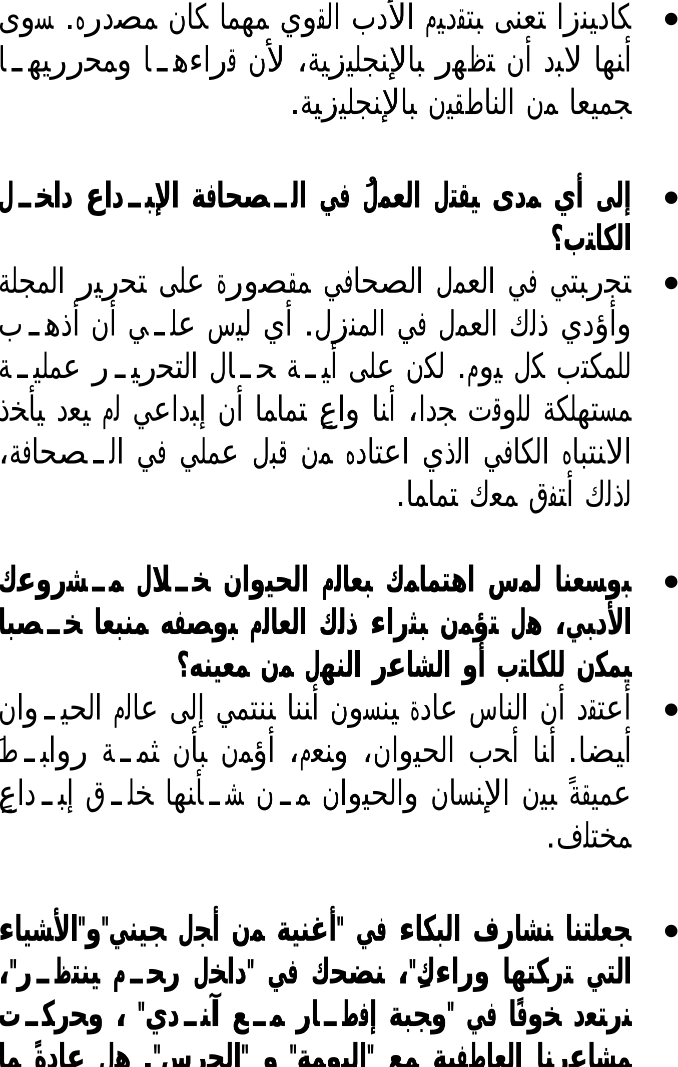
- **يمكننا لمس كثير من الخيوط في سردك: الخيط الوجودي في "قتل الأرانب" و" داخل رحم ينتظر"، والخيط الرومانسي في "البومة" و أغنية من أجل جيني"، والخيط الفانتازي في " الجرس" و "النبتة الصغيرة". أي تلك الخيوط يستهوي قلم ريفنسكروفت؟**
- أعتقد أن هذا يعتمد على حالتي المزاجية. ثمة أوقات أجلس فيها للكتابة، ويكون الفضاء الخارجي معتما، تلك القصص تتمحور حول الموت أو الفقد بشكل عام. في أوقات أخرى، أنتج أعمالا أكثر إشراقا، أو حتى أعمالا هزلية مثل " حكاية الجنيات". أزعم أن أفضل قصصي هي تلك التي تميل للعبوس.

- **هل تؤمن بمبدأ "الفن للفن" ؟ أم ترى أن للفن رسالة نحو العالم يجب أن يؤديها؟**
- إذا كنت تقصدين بـ "رسالة نحو العالم" أن تسألي عما إذا كنت أعتقد بأن الأدب يجب أن يقول شيئا ما، أو يجب أن يحمل بدلالة ما، فالإجابة نعم. لا ضير مطلقا من الكتابة من أجل المتعة وحسب، لكنني كقارئ أحتاج أكثر من ذلك. أحتاج أن يكون للقصة شيء من الثِقل، شيء من الرؤية، شيء من المغزى. وككاتب، ذاك هو القص الذي أسعى لكتابته. القصص الممتعة وحسب سرعان ما تُنسى،

لكن القصص التي تقول شيئا عن الإنسان وشرط الحياة ربما تدوم معك إلى نهاية الحياة.

- **تتباين شخوصك كليةً: المعمر، الذي لم يولد بعد، غير الواثق، الحالم، المرزوء بالخطوب الخ. كيف تبتكر شخوصك وتبنيها؟**
- هذا يتوقف على كيف تأتيني فكرة القصة. أحيانا تكون بذرة القصة هي (الموقف) أكثر منها (الشخصية). أعمل الآن على قصة تعتمد على الموقف. البطل بدأ في سماع أصواتٍ داخل رأسه، حين واتتني الفكرة، لم يكن لدي شخصية بعينها في رأسي، وتتخلق الشخصية بالتدريج حين أبدأ في طرح الأسئلة على نفسي. بدأت بنوعها واخترته أنثى، ثم العمر وكان 14 عاما. لكن مع تحرك العمل إلى الأمام، وجدت أن الأحداث ستتواءم أكثر لو كانت الشخصية ذكرا بالغا. وهكذا تتخلق الشخصية بالتدريج إذا كانت القصة تتكئ على الموقف أو الحدث. غير أن أحوالا أخرى تكون فيها بذرة القصة هي الشخصية ذاتها التي تقفز فجأة إلى رأسي مكتملةً تقريبا. تكون تلك الشخصية قد تولدت من شخص ما قابلته في الطريق، في الحلم، أو من الذاكرة. ما علي فعله حينئذ هو خلق الموقف الذي من خلاله تخرج تلك الشخصية للحياة لتقول شيئا يستحق أن يقال.

- **هل مجلة "كادينزا" التي تعمل على تحريرها تعنى بالأدب العربي؟ أم هي محسورة بسياج حديدي على الأدب الإنجليزي والأوروبي؟**



- كادينزا تعنى بتقديم الأدب القوي مهما كان مصدره. سوى أنها لابد أن تظهر بالإنجليزية، لأن قراءها ومحرريها جميعا من الناطقين بالإنجليزية.

- **إلى أي مدى يقتل العملُ في الصحافة الإبداع داخل الكاتب؟**
- تجربتي في العمل الصحافي مقصورة على تحرير المجلة وأؤدي ذلك العمل في المنزل. أي ليس علي أن أذهب للمكتب كل يوم. لكن على أية حال التحرير عملية مستهلكة للوقت جدا، أنا واعٍ تماما أن إبداعي لم يعد يأخذ الانتباه الكافي الذي اعتاده من قبل عملي في الصحافة، لذلك أتفق معك تماما.

- **بوسعنا لمس اهتمامك بعالم الحيوان خلال مشروعك الأدبي، هل تؤمن بثراء ذلك العالم بوصفه منبعا خصبا يمكن للكاتب أو الشاعر النهل من معينه؟**
- أعتقد أن الناس عادة ينسون أننا ننتمي إلى عالم الحيوان أيضا. أنا أحب الحيوان، ونعم، أؤمن بأن ثمة روابطَ عميقةً بين الإنسان والحيوان من شأنها خلق إبداعٍ مختلف.

- **جعلتنا نشارف البكاء في "أغنية من أجل جيني"و"الأشياء التي تركتها وراءكِ"، نضحك في "داخل رحم ينتظر"، نرتعد خوفًا في "وجبة إفطار مع آندي" ، وحركت مشاعرنا العاطفية مع "البومة" و "الجرس". هل عادةً ما**

تستحضر قارئا افتراضيا لحظة الكتابة وتفكر في تأثيرك عليه ؟

- عادة حين أشرع في الكتابة، أعمل على شحن القارئ بخبرة انفعالية ما. أؤمن أن ذلك أحد أهم الأسباب التي من أجلها يقرأ الناس القص. لذلك، نعم، أفكر في أثر ما أكتب على مشاعر قارئي. وحتما فإن الطريقة الوحيدة لفعل ذلك هو استجلاب واستجماع انفعالاتي الخاصة – وأعتقد أن ذلك هو السبب في أن الكتابة كثيرا ما تكون شاحذةً للعاطفة. بين حين وآخر أجد نفسي أبكي فيما أكتب. حين يحدث ذلك فتلك إشارة على أنني وقعت على شيء قد يحرك القارئ أيضا.

- **كتبتُ في مقاربتي النقدية لمشروعك الأدبي أنك كثيرا ما تلتقط بمهارة ملامح شعرية من موجودات عابرة وغير ملفتة، هل تظن أن الكاتب لابد وأن يمتلك عينًا حادة بوسعها اقتناص الشعرية من العالم المحيط؟**
- أعتقد أن تلك العين يمكن أن تفيد كثيرا. قال ريموند كارفر ذات مرة: "من الجائز، في القصيدة أو القصة القصيرة، أن تكتب عن الأشياء التافهة أو العادية مستخدما لغةً عادية ومألوفة لكن دقيقة ونافذة، يمكنك أن تشحن تلك المألوفات: الكرسي، ستارة الشرفة، الشوكة، الحجر، قرط المرأة، بطاقة مذهلة وهائلة". أتفق مع ذلك التوجه تماما وهو الذي أجتهد أن أصنعه في قصصي.

- **كتبتُ كذلك أنك أحيانا ما تُضعِف من توتر الحبكة في آخر سطر في قصصك، حين تعمد إلى التعليلية والشرح**

غير الضروري، الأمر الذي يغلق الدلالة على القارئ ويحرمه لذة الخوض والمشاركة في الكتابة معك، هل تتفق معي في ذلك الرأي؟ وما مدى خضوعك تحت وطأة القارئ والخوف من استغلاقك عليه؟

- على الكتّاب أن يجوبوا طرقا وعرة صعبة المسالك. أي كم من الفكر وهبناه للقارئ؟ كم من الجهد جعلناهم يبذلون حتى ينكشف لهم العمل ؟ ولأننا لا يمكن أن نعرف كل قرائنا شخصيا، ربما بدا ما نقوله أكثر مما يجب لبعضهم، بينما يكون أقل مما يجب لآخرين. هذا شيء آخر يجعل من الكتابة عملية معقدة.

- **كيف يرى المواطن الإنجليزي، العادي والمثقف، المواطن العربي، بعيدا عن الحكومات والسياسة، خاصة في هذه الأوقات؟**

- نظرة الشعب الإنجليزي إلى العرب تعتمد بشكل أساسي على : عمن نتكلم. الكثير منهم يدركون أن ما يحدث في العالم من إرهاب مثل تفجيرات لندن الأخيرة هو نتاج لأسباب مركّبة ومعقدة سياسيا واجتماعيا وتداعيات مباشرة لسياسات عدم المساواة في العالم. البعض الآخر، بكل أسف، يتمنى ببساطة أن يزيح هؤلاء البشر الذين باتوا يرون فيهم "العدو" المهدد لحق الحياة.

- **في قصة" أحلام أسامة" رسمت صورا رمزية للأقطاب الأربعة الضالعة في كارثة الإرهاب: كتلة المدنيين الأبرياء(مارسيا)، الدين (الأب أوو دونيل)، القوة**

المهيمنة الأولى في العالم (جورج)، ثم رأس الإرهاب (أسامة). كيف استقبل القراء هذه الرموز؟

- لم أحصل على ردود فعل كثيرة عن "أحلام أسامة" تحديدا ربما لأنها حديثة الكتابة. أذكر أن قارئا أمريكيا قال إنها "تبسيط للقضية"، لكن قارئا عربيا قال إنها أعطته رؤية كاشفة تظهر تعقّد الحال وتأزم أزمة الإرهاب لدى الغرب. باستثناء قراءتك لم أحصل، حتى الآن، على ردود فعل سوى هذين.

- **هل الرأي العام الإنجليزي يميز بين المتطرفين الإسلاميين وبين كتلة المسلمين والعرب المعتدلين العلمانيين الذي يشجبون التطرف ويدينون بن لادن ويصطلون بناره ربما أكثر مما يفعل الغرب؟**

- من جديد يعتمد هذا على الشخص وطريقته في التفكير وتناول الأمور، وعلى مدى معرفته بالمجتمع العربي والإسلامي. معظم الشعب الإنجليزي الأبيض يعلمون أقل القليل عن العقيدة الإسلامية رغم أن مسلمين كثيرين الآن يحيون في المملكة المتحدة. القسم المتعلم من الإنجليز يفهمون جانبا من الوضع على صورته الصحيحة، لكن القسم الأعظم من الشعب الإنجليزي يشعر أن القليل جدا من المسلمين يمكن الوثوق بهم. "توني بلير" رئيس الوزراء كان يتكلم أمس مع بعض القيادات الإسلامية حول البحث عن طرائق لمد جسور الوعي بالآخر من أجل رأب صدع التباينات الواسعة في رؤية العرب من قِبل المواطن الإنجليزي بين أقسام المجتمع المتباينة، لكن الشاهد أن الكثير جدا من العمل مازال يجب أن يتم.



- **أحيانا ما تمزج في قصصك بين اللغة الإنجليزية الكلاسيكية الرفيعة وبين الدارجة البريطانية، هل فكرت أبدا كم يكون ذلك صعبا على القارئ غير إنجليزي اللسان؟**
- يجب أن أعترف أنني لم أفكر في ذلك الأمر من قبل. حتى وقت قريب لم تكن أعمالي تُقرأ سوى في أمريكا والمملكة المتحدة وحسب. غير أن مبادرتك الطيبة، بترجمة مختارات من قصصي إلى العربية مما سيساهم في معرفة القارئ العربي بي، سوف تجعلني أفكر فيما بعد في القارئ الأجنبي.

- **ذكرتَ في تصدير مجلة كادينزا أنكم تبحثون عن الكاتب الذي بوسعه التجرؤ على اللغة، والذي لا يخاف المغامرة. هل تعتقد في ضرورة أن يكون الكاتب مخاطرا؟ وهل تعتقدون في قداسة اللغة أيا كانت، أو إنها كيان يجب ألا يمس ؟**
- المغامرة في مادة الكتابة، نعم. يجب أن نتحرى الاحتمالات والإمكانيات الخاصة بالقص ونأتي باكتشافاتنا الخاصة من أجل متعة القارئ الذهنية. أما عن خوض المخاطر في اللغة، فيجب أن يتم ذلك بحذر بالغ، وبعد أن يكون الكاتب موغلا بعمق في قواعد وأسرار اللغة. وعن قداسة اللغة، لنقل أن اللغة مثل شجرة عيد الميلاد، علينا أن نعرف كيف نرعاها لتنمو. لا أؤمن في قداستها في ذاتها، أو في وجوب عدم المساس بها. لكنني أعتقد أن أية

تغييرات بها لابد أن تضيف إليها – فقـط إذا (حـسنت) الإضافات من قيمة اللغة كأداة. كثير من التغييرات تجعل اللغة أقل تأثيرا وتلك يجب أن نتجنبها.

- **ما هي طقوسك في الكتابة؟ الوقت، الحالة المزاجية، كم من الوقت تأخذ قصصك عادة؟**
- هذه الآونة أكتب كلما ساعدتني الظروف. اشتريت حديثا كمبيوتر نوت بوك (حاسوب متنقل) وهو أداة رائعة لأنه ببساطة يعني أنني لم أعد مجبرا على أن أظل مربوطـًا إلى مكتبي. أجلس في الحديقة الآن وأنا أكتب، وشـهدت الشمس تشرق خلف غيمة لوهلة. أهميـة أخـرى لـذلك الحاسوب المتنقل أنه يجذبني بعيدا عن الإنترنـت وعـن بريدي الإلكتروني. اكتشفت أنني كنت أمضي الـساعات داخل الإنترنت بغير أن أكتب حرفا !! أما عن كـم مـن الوقت تأخذني القصة فلا إجابةً محددة على ذلك. بعضها يأتي في يوم أو يومين، والبعض ربما يستغرق شهورا.

- **فزت بالعديد من الجوائز في القصة القـصيرة. أي تلـك الجوائز هي الأقرب إليك والأعز؟**
- أحبهم جميعا. لكن عادة الأحدث هي الأقرب إلـى قلبـي ربما لفترة، لذا فإن تلك التي أنا بصدد تسلمها في لندن مع سبتمبر القادم هي الأعز وهي جائزة "كاتب هذا العام". كم أنا فخور أن قرأتِني يا فاطمة وسعيد أن جعلـتِ القـارئ العربي يقرأني.

***

فهرس